قِيَمُ المسيح
(الجزءُ الثاني)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

International Booklet Seventeen

The Values of Christ
(Part 2)

By Rev. Dr. Dick Woodward

بَرنامَج
"في ظِلالِ الكَلمَة"

الكُتَيِّب رقَم ١٧

قِيَمُ المسيح
(الجزءُ الثَّاني)

بِقَلم: القسّ الدكتُور دِكْ وُودوُرد
ترجمة: القسّ الدكتُور بيار فرَنسيس

الفَصلُ الأوَّل
محبَّةُ الأعداء

سوفَ يبقَى الحادي عشَر من أيلول عام ٢٠٠١، صَفحَةً مُؤلمَة في ذاكِرة أمِيركا. فلقد هزَّت أحداثُ ذلكَ اليوم أميركا والعالم، ليسَ فقط بسبب الموتِ المأساوِيّ للآلاف. فقِيَمُ المَلايين من الناس تأثَّرت في ذلكَ اليوم. ولقد ذكَرَ يسُوعُ الكَثيرَ عن القِيَم في تعلِيمِهِ. علَّمَ أنَّ قِيَمَنا تُظهِرُ لنا أينَ هِيَ قُلُوبُنا، وشدَّدَ على الحقيقَة أنَّ قُلُوبَنا لا ينبَغي أن تنشَغِلَ "بكُنُوزِ الأرض،" بل "بِكُنُوزِ السماء." وأعطى سببَين هامَّين لهذا: الكُنُوز الأرضيَّة تفقُدُ قيمتَها، ويمُكنُ أن تُسرَقَ منَّا. لهذا، علينا أن نصنعَ لنا في السماءِ كُنُوزاً لا تفنَى ولا تُنزَعُ منَّا، كما قالَ يسُوع (متَّى ٦: ١٩- ٣٤).

بِحَسَبِ القامُوس، القِيمَةُ هي "نَوعِيَّةُ أمرٍ مُعَيَّن، التي بها نُحدِّدُ ما إذا كانَ هذا الأمرُ أكثَرَ أو أقلَّ منفَعَةً وفائِدةً، وبالتالي مقدارَ الرغبَة بهذا الأمر." وكما تعلَّمنا في الجزءِ الأوَّل من هذه السلسِلة حولَ قيم المسيح، كانَ ليسُوع نِظام قِيَمٍ وعلينا أن نعتَرِفَ بقيم يسُوع المسيح هذه.

في اللغةِ اليُونانِيَّة التي كُتِبَ بها العهدُ الجديد، نجدُ أنَّ كلمة "إعتِراف" هي كلمةٌ مُركَّبَة من كَلِمَتَين هُما: "قولُ المِثل." فالإعتِرافُ يعني حرفِيَّاً، "أن نَقُولَ المِثل، أو أن نقُولَ الشيءَ نفسَهُ،" أو "المُوافَقة." أن نعتَرِفَ بيسُوع المسيح يعني أن نقولَ الشيءَ نفسَهُ الذي يقُولُهُ يسُوع عندما يُعرِّفُ قيمَةً.

لقد أحَبَّ يسُوعُ الكَثيرَ من النَّاس عندما كانَ في هذا العالم. في هذه الدِّراسَة، أُريدُ أن أتأمَّلَ بمحبَّةِ يسُوع لأعدائِنا. لقد كانَ يسُوعُ فريداً بينَ غيرِهِ من الشخصِيَّات العالَميَّة، بكونِهِ أحبَّ أعداءَهُ. عندما كانَ مُعلَّقَاً على الصَّلِيب صلَّى تلكَ الصلاة غير الإعتِيادِيَّة لأولئكَ الذين صلَبُوهُ قائِلاً، "إغفِرْ لهُم يا أبَتاهُ لأنَّهُم لا يعلَمُونَ ماذا يفعَلُون." يا لِهذهِ اللحظة الحاسِمة اللافِتة، أنَّهُ عندما كانَ يمُوتُ عن الخُطاةِ في هذا العالم، ومن أجلِ الناس أنفُسِهم الذين كانُوا يصلُبُونَهُ، كانَ قادِراً أن يُصَلِّيَ صلاتَهُ العَظيمة: "إغفِرْ لهُم يا أبتاهُ." (لُوقا ٢٣: ٣٤)

كتَبَ بُولُس يقُولُ أنَّهُ عندما أحبَّ يسُوعُ أعداءَهُ، كانَ يُحِبُّنا جميعاً:

"لأنَّ المسيح إذْ كُنَّا بعدُ ضُعَفاء ماتَ في الوَقتِ المُعَيَّن لأجلِ الفُجَّار. ولكنَّ اللهَ بَيَّنَ محبَّتَهُ لنا لأنَّهُ ونَحنُ بعدُ خُطاةٌ ماتَ المَسيح لأجلِنا. لأنَّهُ إن كُنَّا ونَحنُ أعداءٌ قد صُولِحنا معَ اللهِ بِمَوتِ إبنِهِ، فَبِالأَولى كثيراً ونحنُ مُصالَحُون نخلُصُ بِحَياتِهِ."(رُومية ٥: ٦، ٨، ١٠)

في هذا المَقطَع، يُخبِرُنا بُولُس أنَّ محبَّةَ المسيح فَريدَةٌ، لأنَّها غيرُ مشرُوطة. فهُوَ لا يُحِبُّنا فقط عندما نُحسِنُ التصرُّف، بل يُحِبُّنا أيضاً عندما نُخطِئُ، رُغمَ أنَّ هذا يُحزِنُهُ. ولقد برهَنَ هذه المحبَّة لأنَّهُ ماتَ لأجلِنا ونحنُ لا نزالُ خُطاةً آثمين- أي عندما كُنَّا لا نزالُ أعداءَهُ. فلو لم يُحِبّ يسُوعُ أعداءَهُ، لما كانَ هُناكَ خلاصٌ مُتوفِّرٌ لأيٍّ منَّا.

لقد كانَ لدى يسُوع ذلكَ النَّوع من المحبَّة، الذي نجدُ وصفاً لهُ في إصحاحِ المحبَّةِ العظيم لبُولُس الرسُول، ذلكَ النوع من المحبَّة التي لا تسقطُ لأنَّها غيرُ مشرُوطة، وغيرُ مَبنِيَّة على حُسنِ الأداء (١كُورنثُوس ١٣: ٤-٧)

فالآن، يسُوع لم يُحِبّ أعداءَهُ بالمِثال، بل علَّمَ أيضاً أنَّهُ علينا أن نُحِبَّ أعداءَنا. لقد علَّمَ يسُوعُ أعظَمِ أخلاقٍ أدَبيَّةٍ سمِعَها العالَمُ، عندما أعطى عظتَهُ على الجَبَل:

"سَمِعتُم أنَّهُ قِيل تُحِبُّ قَريبَكَ وتُبغِضُ عَدُوَّك. وأمَّا أنا فأقُولُ لكُم أحِبُّوا أعداءَكُم. بارِكُوا لاعِنيكُم. أحسِنُوا إلى مُبغِضِيكُم. وصَلُّوا لأجلِ الذينَ يُسيئُونَ إليكُم ويطرُدُونَكُم. لِكَي تكُونُوا أبناءَ أبيكُم الذي في السماوات. فإنَّهُ يُشرِقُ شمسَهُ على الأشرارِ والصالِحين ويمطُرُ على الأبرارِ والظَّالِمين. لأنَّهُ إن أحبَبْتُم الذين يُحِبُّونَكُم فأيُّ أجرٍ لكُم. أليسَ العَشَّارُونَ أيضاً يفعَلُونَ ذلكَ. وإن سلَّمتُم على إخوتِكُم فقط فأيَّ فضلٍ تصنَعُون. أليسَ العَشَّارُونَ أيضاً يفعَلُونَ هذا. فكُونُوا أنتُم كامِلِينَ كما أنَّ أباكُم الذي في السماوات هُوَ كامِل." (متَّى ٥: ٤٣- ٤٨).

عندما أعطَى يسُوعُ هذا التَّعليم العَظيم، كانَ يقصُدُ أن يقُول: "عَلَيكُم أن تعتَرِفُوا بالقِيمَةِ التي وضعتُها على المحبَّة، ليسَ فقط بمحبَّةِ بعضِكُم البعض، بَل بمحبَّةِ أعدائِكُم الذين لا يُحَبُّون." ثُمَّ ختمَ هذا التعليم المَليء بالتحدِّي، بطرحِ سُؤال: "إن أحبَبتُم الذين يُحِبُّونَكُم، فأيُّ أجرٍ لكُم؟" يقُولُ الأصلُ اليونانِيُّ الحَرفِ، "إن كُنتُم تُحِبُّونَ فقط الذين يُحِبُّونَكُم، فأيَّةَ نِعمَةً

تصنَعُون؟ فأن تُحِبُّوا الذين يُحِبُّونَكُم لا يتطلَّبُ أيَّةَ نعمة." لقد كانت ستراتيجيَّةُ يسُوع، ولا تزال، أن يُؤثِّرَ على هذا العالم بإظهارِهِ لهذا العالم ما لا يراهُ العالَمُ كُلَّ يوم: أشخاصاً يُحبِّونَ أعداءَهُم الذي لا يُحَبُّون.

خلالَ الحُرُوبِ الصَّليبيَّة، كانَ فرنسيس الأسيزِيّ يرعَى جُنديَّاً عدُوَّاً مجرُوحاً. فصرخَ أحدُ المُحارِبينَ الصَّليبيِّين من أعلى جوادِهِ قائِلاً لِفرنسيس، "عندما يطيبُ جُرحُ هذا العَدُوُّ، سوفَ يقتُلُكَ يا فرنسيس." فأجابَهُ فرنسيس، "ولكنَّهُ سيفهَمُ معنى المحبَّةِ الإلهيَّة قبلَ أن يفعَلَ ذلك!"

لقد تحدَّى يسُوعُ الرُّسُلَ بالعرضِ التالي: "إن كُنتُم تعتَرِفُونَ بالقيمةِ التي أضعُها على محبَّةِ الذين لا يُمكِنُ محبَّتُهم، فسوفَ تُؤثِّرُونَ على العالم!" فإن كُنتُم ستُحِبُّون الذين يُحِبُّونَكُم، فأنتُم لا تختَلِفُونَ عن أهلِ هذا العالم. فالجميعُ يُحبُّونَ الذين يُحِبُّونَهُم. هذه هي المحبَّةُ الإنسانيَّةُ المَشرُوطة.

يا لِهذا التحدِّي أن نُحِبَّ الذي لا يُحَبّ، بطريقَةٍ غيرِ مشرُوطة، كما فعلَ يسُوع! فعندما قالَ يسُوعُ أنَّ محبَّةَ الذين يُحِبُّونَنا لا تتطلَّبُ أيَّةَ نِعمة، كانَ يقصُدُ القَول أنَّ المحبَّة غير المشرُوطة تتطلَّبُ الكَثيرَ من النعمة، كما أحَبَّ المسيحُ أعداءَهُ. إنَّ أكثَرَ تعليمٍ ديناميكيٍّ في العهدِ الجديد هُوَ أنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقامَ يحيا فِيَّ وفِيكَ. هذا يعني أنَّهُ يقدِرُ أن يُحِبَّ أعداءَنا الذين لا يُحَبُّونَ، من خِلالِي ومن خِلالِك! (أنظُر يُوحنَّا ٤: ٧- ٢١؛ كُولوسي ١: ٢٧)

الجزءُ الأخيرُ من هذا التعليم هُوَ: "لهذا كُونُوا كامِلينَ كما أنَّ أباكُم الذي في السماواتِ هُوَ كامِل." ولكنَّ هذه الكلمة "كامِل" تُزعِجُ النَّاس. فهي تعني بالحقيقَة "تامّ أو ناضِج." فإن كانت كلمة "كامِل" تُزعِجُكَ، إقرَأ متَّى ٥: ٤٨ واترُكْ كلمة "كامِل." "فَكُونُوا كامِلينَ كما أنَّ أباكُم الذي في السماواتِ هُوَ كامِلٌ." يُوصِي بُولُس الرسُول الأزواجَ بأن يُحِبُّوا زوجاتِهم كما أحبَّ المسيحُ الكَنيسة. وينبَغي أن يبذُلوا ذواتهم لزوجاتِهم، تماماً كما بذلَ المسيحُ نفسَهُ من أجلِ الكَنيسة (أفسُس ٥: ٢٥). عليهِم أن يُحِبُّوا ويبذُلُوا كما أحَبَّ المسيحُ وبذلَ نفسَهُ من أجلِ الكنيسة. فهل هذا مُمكن؟ نعم. فإن كانَ المسيحُ يحيا فينا، لن يكُونَ هذا مُمكِناً فقط، بل وسيكُونُ طبيعيَّاً أيضاً.

ينبَغي علينا أن نكُونَ محبَّةَ المسيح في هذا العالم. علينا أن نكُونَ مُحِبِّين، وينبَغي أن نُحِبَّ بدُونِ شُرُوط، لأنَّ المسيحَ يحيا فينا ومن خِلالِنا. كُلُّ تلميذٍ ليسُوع المسيح ينبَغي أن يقُولَ ما قالَهُ فرنسيس الأسيزيّ للخاطِئِ في هذا العالم، وحتَّى لأعداءِ يسُوع المسيح والله الآب. يا لهذا التحدِّي! هل تعتَرِفُ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لِمحبَّةِ أعدائِكَ؟

الفَصلُ الثاني
الضَّال

نتأمَّلُ معاً بالقِيَم التي عرَّفَها يسُوعُ عندما عاشَ حياتَهُ بينَنا. فبينما كانَ يُعرِّفُ مجمُوعَةَ قِيَمِهِ، نرى وصفاً لِقِيَمِ اللهِ المُطلَقة. في هذه الدِّراسة، سوفَ ننظُرُ إلى القيمة التي أولاها لأسوأِ خاطِئٍ في المَدينة. إذا فتحنا كِتابَنا المقدَّس على إنجيل لُوقا ١٩: ١- ١٠، نرى إيضاحاً عَظِيماً عن القيمة التي أولاها يسُوعُ للأشخاصِ الذين دَعاهُم "بالضَّالِّين."

"ثُمَّ دَخَلَ واجتازَ في أريحا. وإذا رجُلٌ إسمُهُ زَكَّا وهُوَ رَئيسٌ لِلعَشَّارِين وكانَ غَنِيّاً. وطَلَبَ أن يرى يسُوع من هُوَ ولم يقدِرْ منَ الجَمعِ لأنَّهُ كانَ قَصيرَ القامَة. فركضَ مُتَقدِّماً وصَعِدَ إلى جُمَّيزَةٍ لِكَي يَراهُ. لأنَّهُ كانَ مُزمِعاً أن يَمُرَّ من هُناك.

"فلمَّا جاءَ يسُوعُ إلى المكان نظرَ إلى فوقُ فرآهُ وقالَ لهُ يا زَكَّا أسرِعْ وانزِلْ لأنَّهُ ينبَغي أن أَمكُثَ اليومَ في بيتِكَ. فأسرَعَ ونَزَلَ وقَبِلَهُ فَرِحاً. فلمَّا رأى الجميعُ ذلكَ تذمَّرُوا قائِلين إنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عندَ رَجُلٍ خاطِئ.

"فوقَفَ زَكَّا وقالَ للرَّبِّ ها أنا يا رَبّ أُعطِي نِصفَ أموالي للمَساكِين وإن كُنتُ قد وَشَيتُ بأحدٍ أرُدُّ لهُ أربَعَةَ أضعاف. فقالَ لهُ يسُوعُ اليومَ حَصَلَ خلاصٌ لِهذا البَيت إذ هُوَ أيضاً إبنٌ إبراهيم. لأنَّ إبنَ الإنسان قد جاءَ لكَي يطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هلَكَ."

كالكَثيرِ من القِصَص عن يسُوع، يُمكِنُ أن يُقدَّمَ هذا المقطَعُ بشكلِ مسرحِيَّةٍ في ثلاثَةِ مَشاهِد. المَشهَدُ الأوَّلُ هُوَ حَيثُ يَلتَقي يسُوعُ بهذا الرجُل، زكَّا، الذي كانَ رَئيسَ العشَّارين، أي ما كانَ يُعرَفُ بجابي الضَّرائِب. ولقد كانَ العشَّارُونَ يُعتَبَرُونَ خُطاةً في طبَقَةٍ خاصَّةٍ بهم، لأنَّهُم كانُوا يجمَعُونَ

الضرائِب من إخوتِهم اليَهُود لِصالِحِ المُحتَلِّ الرُّومانِيّ، ولهذا كانوا مكرُوهينَ كثيراً من اليَهود. وكانَ هؤُلاء العشَّارُونَ يُضِيفُونَ نِسبَةً مِئويَّةً لأنفُسِهم، وكانَ الشعبُ اليَهُودِيُّ الفقير لا حَولَ لهُ ولا قُوَّةَ حِيالَ هذا الوضع.

في المَشهَدِ الأوَّل، نرى زكَّا مُتشوِّقاً ليَرَى الرَّب، فركَضَ وتسلَّقَ شجرَةً ليراهُ. عندَها دعاهُ يسُوعُ بإسمِهِ وقالَ لهُ، "أسرِعْ وانزِلْ لأنَّهُ ينبَغي أن أمكُثَ اليومَ في بيتِكَ." فاغتاظَ الناسُ كثيراً، خاصَّةً القادَةُ الدينيُّون. لَرُبَّما توقَّعَ رِجالُ الدِّينَ في تِلكَ المدينة أن يقضِيَ يسُوعَ نهارَهُ معَهُم. ولكنَّ يسُوعَ قَرَّرَ أن يقضِيَ نهارَهُ معَ أسوأِ خاطِئٍ على الإطلاق، الذي كانَ عشَّاراً! وليسَ عشَّاراً فقط، بل رئيس العشَّارين!

تدُورُ أحداثُ المشهدِ الثَّاني في منزِلِ زكَّا. فلقد قضى يسُوعُ نهارَهُ بأكمَلِهِ هُناك. لا نعرِفُ شيئاً عمَّا حدَثَ داخِلَ بيتِ زكَّا. ولكن بإمكانِنا أن نتخَيَّلَ ما حدثَ في المشهَدِ الثَّاني، عندما نرى كيفَ يبدَأُ المَشهَدُ الثالِث.

عندما يبدأُ المَشهَدُ الثالِث، نراهُم يخرُجُونَ من المنزِل وزكَّا يقُول، "يا رَبّ، ها أنا أُعطي نِصفَ أموالي للمَساكِين، وإن كُنتُ قد وَشيتُ بأحدٍ أرُدُّ لهُ أربَعَةَ أضعاف." فقالَ لهُ يسُوع، "اليومَ حصلَ خلاصٌ لِهذا البَيت إذ هُوَ أيضاً إبنُ إبراهيم. لأنَّ ابنَ الإنسانِ قد جاءَ لكَي يطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هَلَك."

بكلماتٍ أُخرى، كانَ يسُوعُ يقُولُ ما معناهُ: "جِئتُ من أجلِ أشخاصٍ مثل زكَّا رئيسِ العشَّارين. وإن كُنتُم مُستَغرِبينَ لكوني قضَيتُ نهاري الوحيد في أريحا بكامِلِهِ معَ زكَّا، أُريدُكُم أن تُدرِكُوا شيئاً: أنا أُولي قيمةً كُبرى لأشخاصٍ نظيرَهُ. بالواقِع، أنا لم آتِ فقط لكَي أُخلِّصَ الضَّالِّينَ أمثالَهُ، بل جِئتُ لأطلُبَهُم وأُخَلِّصَهُم."

تطبيقٌ شَخصيّ

هل أنتَ ضالٌّ؟ هل أنتَ خاطِئٌ؟ إنتبِهْ. فلقد جاءَ المسيحُ من أجلِ أشخاصٍ نظيرك. وهُوَ يُولِي قيمةً كُبرى لأمثالِكَ. فأنتَ على رَأسِ لائِحَةِ إهتِماماتِه. ولو كانَ يسُوعُ بِصددِ الدعوَةِ لإحتِفالٍ ما، ستكُونُ أنتَ من بَينِ المَدعُوِّين.

وإن كُنتَ واحِداً من رِجالِ الدِّين، أو عُضواً في كَنيسة، فهل أنتَ مُتبجِّحٌ بمَسيحيَّتِكَ لدرجَةِ أنَّكَ لا تُولي أيَّةَ قيمةٍ لأشخاصٍ مثل زكَّا؟ ينبَغي أن نقلَقَ إذا لم نجِدْ في قُلُوبِنا محبَّةً لأمثالِ زكَّا في هذا العالم. علينا أن نتحلَّى في قُلوبِنا، وليسَ في عقُولِنا، بمحبَّةِ يسُوع المسيح للخاطِئ، تِلكَ المحبَّة التي تعتَرِفُ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لأمثالِ زكَّا.

الفصلُ الثالِث

نظرتُنا إلى تعليمِهِ

نحنُ بِصَدَدِ النَّظَرِ إلى نظامِ قِيَمِ يسُوع، ونسألُ أنفُسَنا إن كُنَّا نعتَرِفُ أو نقولُ الشيءَ نفسَهُ عن القِيم التي عرَّفها يسُوعُ وأعلَنَها. في هذا الإصحاح، أنظُرُوا معي إلى الطريقة التي بها قيَّمَ يسُوعُ تعليمَهُ.

لقد أوضحَ يسُوعُ أن تعليمَهُ ينبَغي أن يُطاعَ. عندَما صرَّحَ أن تعليمَهُ كانَ تعليمَ الله، أخبَرنا كيفَ يُمكِنُنا أن نُبرهِنَ ذلكَ. قالَ، "إن عمِلَ أحدٌ... يعلَم..." (يُوحنَّا ٧: ١٧) إنَّ نظرتَنا العقلانِيَّة لكُلِّ شَيءٍ هي بشكلٍ أساسي أنَّنا عندما نعلَمُ، عندها سنعمَل. ونقُولُ أنَّ المعرِفَة أو العِلمَ يقُودُ إلى العمل. ولكنَّ يسُوعَ علَّمَ أن العمَلَ يقُودُ إلى العِلم.

ولكي يُعبِّرَ يسُوعُ عن هذه الفكرة بطريقَةٍ أُخرى، علَّمَ أنَّ تعليمَهُ هُوَ مثل الخمر الجديدة غير المُختَمِرَة. في تِلكَ الأيَّام، لم يكُونُوا يضعونَ أبداً خمراً لم تختَمِر بعد في قِربَةِ خمرٍ جِلديَّةٍ قديمة. فلو فعَلُوا، لكانَتِ الخمرُ الجديدَةُ ستَتَمدَّدُ، وتُسبِّبُ بإنفجارِ الجلدِ العتيق. وهكذا علَّمَ يسوعُ أن تعليمَهُ سوفَ يضغَطُ على أذهانِ الناس، وإن لم يستسلِمُوا لِهذا الضَّغط، فإنَّ تعليمَهُ سيُفجِّرُ أذهانَهُم بالمعنى الحرفِيِّ للكَلمة. (لُوقا ٥: ٣٦- ٣٩)

فإذا وُضِعَ تعليمُ يسُوع موضِعَ التنفيذ، قالَ يسُوعُ أنَّ تعليمَهُ سيُصبِحُ نظامَ إيمانٍ وسيُصبِحُ بمثابَةِ أساسٍ لإيمانِنا. وعندما تأتي الأزمِنة الصَّعبَة، لن نسقُطَ أبداً، ولن نُهزَمَ أمامَ عواصِفِ الحياة، إن كانَ نظامُ إيمانِنا مَبنِيَّاً على تعليمِ يسُوع:

"فَكُلُّ مَن يَسمَعُ أقوالي هذه ويَعمَلُ بها أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عاقِلٍ بنَى بيتَهُ على الصَّخر. فنزلَ المَطَرُ وجاءَتِ الأنهارُ وهبَّتِ الرِّياحُ ووَقَعَت على ذلكَ البيت فلم يسقُطْ. لأنَّهُ كانَ مُؤسَّساً على الصخر. وكُلُّ من يسمَعُ أقوالي هذه

ولا يعمَلُ بها يُشبَّهُ بِرَجُلٍ جاهِلٍ بنى بيتَهُ على الرَّمل. فنزلَ المطَرُ وجاءَتِ الأنهارُ وهبَّتِ الرِّياحُ وصدَمت ذلكَ البَيت فسَقَطَ. وكانَ سُقُوطُهُ عَظيماً." (متَّى ٧: ٢٤- ٢٧)

علَّمَ يسُوعُ أيضاً أنَّ القصدَ من تعليمِهِ هو إحداثُ ثورَةٍ في الحضارة. قالَ رِجالُ الدِّينِ ليسوع، أنَّهُ إن كانَ هُوَ فعلاً المسيَّا، لتوجَّبَ عليهِ أن يكُونَ أكثَرَ إنضِباطاً ونامُوسيَّةً. ولكنَّهُ أجابَهُم بِصُورَةٍ مجازِيَّةٍ ساخِرَة، قائِلاً ما معناهُ: "من تظُنُّونَ أنفُسَكُم لتقولوا لي أن أكُونَ مُختَلِفاً عن طريقَةِ حياتِي؟ إن موقِفَكُم هذا يجعَلكُم كالأطفال." ففي السوق، كانَ الأطفالُ يلعَبُونَ بألعابٍ صَغيرة، مُقلِّدينَ حدَثَي الأعراس والجنازات.

فكانُوا يقُولُونَ للتُّجارِ المشغُولين، "توقَّفُوا والعَبُوا معَنا لُعبَةَ الجنازَة، وكُونُوا حزَانى." أو كانُوا يقُولُونَ، "توقَّفُوا والعَبُوا مَعَنا لُعبَةَ العُرس، وكُونُوا فَرِحين."(لُوقا ٧: ٣١- ٣٥) ولكنَّ التُّجَّارَ الكثيرِي الإنشغال لم يكُنْ لَديهِم الوَقتُ الكافِي ليتوقَّفُوا ويلعَبُوا ألعاباً معَ الأطفال. يقُولُ يسُوعُ لرِجالِ الدِّين، "لم آتِ لألعَبَ ألعابَكُم الدينيَّة الصغيرة."

هُناكَ مكانٌ آخرَ في كلمةِ اللهِ وضعَ فيهِ يسُوعُ قيمَةً كُبرى على تعليمِه. قال: "لهذا كُلُّ كاتِبٍ مُتعلِّمٍ في ملكوتِ اللهِ يُشبِهُ رَجُلاً رَبَّ بيتٍ يُخرِجُ من كَنزِهِ جُدُداً وعُتَقَاء." (متى ١٣: ٥٢) تفسيرِي لهذه الصُّورة المجازِيَّة هُوَ كالآتي: "إن فهِمتُم تعليمي، ستفهَمُونَ فِعلاً العهدَ القَديم، وسيكُونُ بإمكانِكُم أن تُعلِّمُوا العهدَ القديم، بطريقَةٍ جَديدَةٍ وحيويَّة. وسيكُونُ بإمكانِكُم أن تَصِلُوا إلى رُوحِ النَّامُوس – وإلى جوهَرِ، وقَلبِ الحقيقة التي تُعلِّمُها هذه الأسفارُ الجميلةُ المُوحى بها في العهدِ القديم.

ولرُبَّما كانَ يقُولُ أيضاً، أنَّ مُعلِّمَ مَلَكُوتِ السماوات سيُعطي نظرةً جديدَةً عن الحقيقَةِ القديمة التي طالَما كانت مقبُولَةً.

ليسَت هُناكَ بركَةٌ أعظم من سمَاعِ أحدِهم يُعلِّمُ مقطَعاً كِتابِيَّاً مَألُوفاً مثل المزمُور ٢٣، ويُقدِّمُ أفكاراً جديدَةً حولَهُ. أتذكَّرُ أنِّني مرَّةً سَمِعتُ رجُلاً يُعلِّمُ المزمُور ٢٣، ففَكَّرتُ في نَفسِي، "هذا مُمِلٌّ لِلغايَة." ذلكَ لأنَّ هذا المزمُور مألُوفٌ جدَّاً لدينا. فماذا يُمكِنُ لهذا الرَّجُلِ أن يقُولَهُ ممَّا لما نسمَعْ بهِ من قَبل؟ ولكن بعدَ أن أَصغَيتَ لهُ لمُدَّةِ أربَعينَ دَقيقَةً، أدركتُ أنَّ كُلَّ ما كانَ يُعلِّمُ بهِ حولَ المزمُور ٢٣ كانَ جَديداً بالنسبَةِ لي.

لرُبَّما هذا ما قصدَهُ يسُوعُ عندما أولى هذه القيمة الكُبرى لتعليمِه. كانَ يقُولُ لنا أنَّنا عندما نفهَمُ تعليمَهُ بِحَقّ، سنُصبِحُ قادِرينَ أن نُعلِّمَ أُمُوراً جَديدَةً وأُمُوراً قديمَةً، أو أن نُعَلِّمَ القديمَ بطريقَةٍ جديدة وبنَفحَةٍ جديدة.

الفَصلُ الرَّابِع
كَلِمَةُ اللهِ المُدَوَّنَة

لا نزالُ بِصَدَدِ دِراسَةِ قِيَمِ يسُوع المَسيح. خِلالَ السنوات الثلاث من خِدمتِهِ العَلَنِيَّة، أعطى يسُوعُ قيمَةً كُبرى لكلمةِ اللهِ المُدَوَّنة. وكانَ رِجالُ الدِّينِ يتحدَّونَهُ بإستِمرار، قائِلينَ أنَّهُ كانَ يُعلِّمُ شيئاً جديداً، ومُختَلِفاً. في مَوعِظتِهِ على الجَبل، أظهَرَ يسُوعُ القيمَةَ التي وضعها على أسفارِ العهدِ القديم:

"لا تَظُنُّوا أنِّي جِئتُ لأنقُضَ النَّامُوسَ أوِ الأنبِياء. ما جِئتُ لأنقُضَ بَل لأُكمِّلَ. فإنِّي الحقَّ أقُولُ لكُم إلى أن تزُولَ السَّماءُ والأرضُ لا يزُولُ حرفٌ واحِدٌ أو نُقطَةٌ واحِدَةٌ من النَّامُوس حتَّى يكُونَ الكُلّ. فمَن نقضَ إحدى هذه الوَصايا الصُّغرى وعلَّمَ النَّاسَ هكذا، يُدعَى أصغَرَ في مَلَكُوتِ السماوات. وأمَّا من عَمِلَ وعلَّمَ فهذا يُدعَى عظيماً في ملكوتِ السماوات. فإنِّي اقُولُ لكُم إنَّكُم إن لم يَزِدْ بِرُّكُم على الكَتَبَةِ والفَرِّيسيِّين، لن تدخُلُوا ملكوتَ السماوات." (متَّى ٥: ١٧- ٢٠)

لاحِظُوا أنَّ يسُوعَ علَّمَ، "كُلُّ من يعمَلُ ويُعلِّمُ بنواميسِ العهدِ القديم، يُدعى عظيماً في ملكوتِ السماوات." ليسَ فقط من يفهَمها، بل كُلُّ من يعمَلها ومن ثَمَّ يُعلِّمها يُدعى عظيماً في الملكوت. وينهي يَسُوعُ تعليمَهُ هذا بالقَول، "كُلُّ من يفهَمُ بِحقّ هذه النظرة للعهدِ القديم ويُطبِّقُها، فإنَّ بِرَّهُ سيَزيدُ على بِرِّ الكَتَبَة والفَرِّيسيِّين."

بِحَسَبِ سفرِ التثنِيَة، القصدُ من أسفارِ العهدِ القديم هُوَ أن تُظهِرَ للإنسان كيفَ يعيش (تثنية ٨: ١- ٣). في أكثَرَ من خَمسَةِ عقُودٍ من دِراسَةِ وتعليمِ الكتاب المقدَّس، إكتَشَفتُ أنَّني بِمقدارِ ما أعرِفُ الكتابَ المقدَّس، بِمقدارِ ما أفهَمُ الحياة، وبمقدارِ ما أختَبِرُ الحياة، بمقدارِ ما أفهَمُ وأُقدِّرُ قيمةَ الكتابِ المقدَّس.

تأمَّلْ بهذه الصلاة التي صلاها يسُوع حِيالَ أهمِّيَّةِ كلمةِ اللهِ في حياةِ الرُّسُل: "أنا قد أعطَيتُهُم كلامَكَ والعالَمُ أبغَضَهُم لأنَّهُم ليسُوا من العالم كما أنِّي أنا لستُ من العالم." (يُوحنَّا ١٧: ١٤) يبدو أنَّ بُرهانَ كونِ التلاميذ قد فَهِمُوا وعاشُوا فعلاً كلمةَ الله التي أعطاهُم إيَّاها يسُوع، كانَ أنَّ العالمَ أبغَضَهُم. يطرَحُ هذا علينا سُؤالاً مُثيراً للإهتِمام، أن نسألَ أنفُسَنا كتلاميذ ليسُوع المسيح: "هل يُبغِضُني أحدٌ لأنَّ رَبِّي يسُوع المسيح قد أعطاني كلمَةَ الآب وأنا أعيشُها؟"

بينما كانَ يسُوعُ يُصلِّي من أجلِ الرُّسُل، صلَّى من أجلِهم هذه الصلاة: "قدِّسْهُم في حَقِّكَ." ثُمَّ يُقدِّمُ هذا التصريح البَيانِيّ عن كلمةِ الله: "كلامُكَ هُوَ حَقّ." (١٧) تعني كلمة "قَدِّسْهُم"، "إفرزهُم جانِباً، خصِّصهُم." فهُوَ يُصلِّي بما معناهُ، "خَصِّصْهُم لنفسِكَ. إمنَحْهُم تِلكَ العلاقة معَ شخصِكَ التي تحفظهم من هذا العالم." لقد أرسَلَهُم كخِرافٍ، (ويقُولُ لوقا "كحِملان") في وسطِ ذِئابٍ، إلى مكانٍ محفُوفٍ بالخَطَرِ العظيم (لُوقا ١٠: ٣؛ متَّى ١٠: ١٦). فهُوَ يُصَلِّي إلى اللهِ الآب، "لا تأخُذهم من العالم، لأنَّهُم لن يتمكَّنُوا من إتمامِ عملِهم إذا خرجُوا من العالم. ولكن بينما هُم في العالم، في هذا المكان المليء بالخطر، إفرزهُم لِنَفسِكَ. إستخدِمْ حقَّكَ (كلمتَكَ) لتعمَلَ هذا."

ثُمَّ يُقدِّمُ يسُوعُ هذا التصريحِ العظيم عن كلمةِ الله: "كلامُكَ هُوَ حَقّ." (يُوحنَّا ١٧: ١٧) هُنا نجِدُ نظرَةً عظيمة إلى أسفارِ كلمةِ الله. فكلمةُ اللهِ هي حَقّ. لهذا، إقتَرِبْ من كلمةِ اللهِ لتكتَشفَ هذا الحق. وبإمكانِ هذا الحقّ أن يُخصِّصَكَ لله. وبإمكانِهِ أن يمنحَكَ علاقَةً معَ الله بينما أنتَ لا تزالُ تعيشُ في عالَمٍ يُبغِضُهُ, ويُبغِضُ كلمتَهُ، ويُبغِضُ نظامَ قِيَمِهِ المُعلَن في كلمتِه. دائِماً إقتَرِب من كلمةِ اللهِ باحِثاً عن هذه الحقيقة، مُتَذَكِّراً أنَّكَ عندما تعمَلُ ستَعلَم (يُوحنَّا ٧: ١٧). وستعرِفُ الحقَّ الذي سيُحرِّرُكَ، والذي سيُخصِّصُكَ لله وللمسيح، بينما تَحيا قِيَمَهُ في عالَمٍ مُعادٍ لِهذه القِيَم. (يُوحنَّا ٨: ٣٠-٣٥؛ ١٧: ١٤)

فهل سنعتَرِفُ بالقيمةِ التي وضعها يسُوعُ على كلمةِ الله؟ هذا هُوَ التحدِّي الذي نُواجِهُهُ عندما نتأمَّلُ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ للحقيقَةِ التي نجِدُها في كلمةِ الله المُدوَّنة.

الفَصلُ الخامِس
عَمَلُهُ

نحنُ نقتَفِي آثارَ يسُوع في الأناجيل، مُراقِبينَ إيَّاهُ وهُوَ يُعرِّفُ مجمُوعةَ القِيَم. في هذه الدِّراسة، أوَدُّ لو نتأمَّلَ بالقِيمَةِ التي وضعَها يسُوعُ على العمَل الذي أرسَلَهُ الآبُ إلى هذا العالم لِيُتَمِّمَهُ. هل سبقَ ولاحظتَ مِقدارَ إهتِمام يسُوع بإتمامِ عملِ الآب؟

مثلاً، نسمَعُهُ يُعلِنُ بيَانَ رُؤياهُ أو خطَّتَهُ، عندما كانَ لا يزالُ طِفلاً: "ينبَغي أن أكُونَ في ما لأبي." (لُوقا ٢: ٤٩) كانَ يسُوعُ يُركِّزُ بالتأكيد على عملِهِ عندما قالَ، "ينبَغي أن أعملَ أعمالَ الذي أرسَلَني ما دامَ نهار. يأتي ليلٌ حينَ لا يستطيعُ أحدٌ أن يعمَل." (يُوحنَّا ٩: ٤) لقد كان لدى يسُوع المسيح مُهِمَّة، وكانَ يعرِفُها على حقيقتِها.

في مُناسَبَةٍ أُخرى، رجعَ الرُّسُلُ إلى يسُوعَ حامِلينَ طعاماً لم يطلُبْهُ. وعندما قدَّمُوا لهُ الطعام، رفضَهُ قائِلاً، "طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسَلني وأُتَمِّمَ عملَهُ" (يُوحنَّا ٤: ٣٤). لقد قدَّمَ لنا يسُوعُ مِثالاً بقولِهِ أنَّ طعامَهُ، خُبزَهُ، وشَبَعَهُ، جميعُها تأتي من إتمامِهِ العمل الذي أرسَلَهُ الآبُ ليعمَلَهُ.

عندما وَصَلَ يسُوعُ إلى نِهايَةِ حياتِهِ على الأرض، وبعدَ أن إنشغَلَ "بِعَمَلِ أعمالِ الذي أرسلَهُ ما دامَ نهارٌ،" عالِماً أنَّهُ يأتي ليلٌ حينَ لا يستطيعُ أحدٌ أن يعمَل، وإذ واجَهَ الصليبَ عالِماً أنَّ حياتَهُ على الأرض ورِسالتَهُ على الأرض كانتا تقتَرِبانِ من نهايتِهما، صَلَّى هذه الكلمات الجميلة، "أيُّها الآب، أنا مجَّدتُكَ على الأرض. العمَل الذي أعطَيتَني لأعمل قد أكمَلتُهُ." (يُوحنَّا ١٧: ٤)

ما هُوَ قصدُ الحياةِ البَشَريَّة؟ تقُولُ قوانِينُ الإيمان، أنَّهُ تمجيدُ اللهِ والإستمتاعُ بهِ. وهكذا فإنَّ تمجيدَ اللهِ والإستمتاع بالشرِكَة معَهُ هُوَ هدَفُ الحياةِ البَشرية، بِحَسَبِ قوانين الإيمان. ولكن، كيفَ نُمجِّدُ الله؟ هذا سُؤالٌ عظيم. يُقدِّمُ لنا يسُوعُ مِثالاً عن الجَواب. "أنا مجَّدتُكَ على الأرض" (فكيفَ نُمجِّدُ الله؟) "العمَل الذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ." (هكذا نستطيعُ أن نُمَجِّدَ الله.)

عندما مضَى يسُوعُ إلى الصَّليب، ووصَلَ إلى قِمَّةِ الألَمِ هُناك، ماذا كانت كلماتُهُ الأخيرة؟ تُخبِرُنا الأناجيلُ إذا قارنَّاها بعضُها بالبَعضِ الآخر، أنَّ كلمات يسُوع الأخيرة على الصليب كانت، "قد أُكمِل... أيُّها الآب، بينَ يديكَ أستَودِعُ رُوحي." (يُوحنَّا ١٩: ٣٠؛ لُوقا ٢٣: ٤٦)

الكلماتُ التالِيَة وُجِدَت في مُفَكِّرَةِ مُرسَلٍ قُتِلَ بِفظاعَةٍ من أجلِ إيمانِهِ: "عندما يحينُ وقتُكَ في مُخطَّطِ اللهِ لتَمُوت، إحرَص أن تُسلِّمَ نفسَكَ لِلمَوت." بما أنَّ يسُوعَ عاشَ حياةً كامِلَةً، عندما وصلَ إلى نِهايَةِ حياتِهِ الكامِلة، إستطاعَ القول، "قد أُكمِل. أيُّها الآب، بين يديكَ أستَودِعُ رُوحي. العمل الذي أعطَيتَني لأعمل قد أكملتُهُ."

لقد كانَ ليسُوع مُهِمَّة وقدَّمَ عدَّةَ بيَاناتٍ عن مُهِمَّتِهِ هذه. هل لديكَ بيانٌ لِمُهِمَّتِكَ؟ وهل تعرِفُ معنى الرِّضى الذي ينتُجُ عن إنهاءِ الأعمال التي تعتَقِدُ أنَّ الآبَ أرسَلَكَ لتعملَها؟ وهل لديكَ مفهُومٌ للعَمَلِ المُتَمَّم؟ عندما تَصِلُ إلى نِهايَةِ حياتِكَ، هل ستَتَمكَّنُ من القَول، "قد أُكمِل"؟ وهل ستستطيعُ أن تقولَ معَ يسُوع، "أيُّها الآب، أنا مجَدتُكَ على الأرض. العمل الذي أعطَيتَني لأعمل قد أكمَلتُهُ. أستودِعُ رُوحي بينَ يديك"؟

الفَصلُ السادِسُ
كيفَ نسمَعُ كلمةَ الله

أحدُ أعظَم تعاليم يسُوع هُوَ مَثَلُ الزَّارِع. إذا درستَهُ بعِنايَة، تُدرِكُ أنَّ القِصَّةَ هي بالفعل مثلُ البُذُور، لأنَّ هذا المَثَل يتكلَّمُ عن كيفَ نسمَعُ كلمةَ الله. أربَعَةُ أنواعٍ من التُّربَة تستقبِلُ كلمةَ الله، مُظهِرَةً أربعَ طُرُقٍ نتجاوَبُ بها معَ كلمةِ اللهِ عندما نسمَعُها. لهذا علينا أن نُسمِّي هذا التعليم، "مثَلُ أنواعِ التُّربَة." عندما نُدرِكُ عمَّا يتكلَّمُ هذا المَثَل، يتوجَّبُ علينا تسمِيتهُ "أربَعَةُ رِجالٍ جالِسونَ على مقعَدِ الكنيسةُ، أيٌّ منُهم أنت؟"

في هذا المَثَل، يُخبِرُنا يسُوعُ أنَّ مُزارِعاً خرجَ ليزرعَ بُذُوراً في حقلِه. فسقطَ بعضٌ من بُذُورِهِ على الأرضِ المُدَاسَةِ اليابِسة. فجاءَت طُيُورُ السماءِ وأَكَلتْها. لأنَّها لم تخترِق أبداً الأرضَ التي سقطَت عليها، ولم تُنتِجْ أيَّ شَيء. وعندما فسَّرَ يسُوعُ معنَى هذا، قالَ أنَّ هذا صُورَةٌ عن أُولئكَ

الذين يسمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ ولا يدعُونَها تدخُلُ إلى أذهانِهم. وقبلَ أن تكُونَ لهُم فُرصَةٌ بإستيعابِها، يأتي إبليس وينزِعُ بُذُورَ كلمةِ اللهِ.

النَّوعُ الثَّاني من التُّربَة التي تقبَلُ بُذُورَ الزَّارِع، هُوَ التُّربَةُ الصّخريَّةُ المُحجِرة. فتمنَعُ الصُّخُورُ البُذُورَ من أن تضرِبَ جُذُورَها في الأرض. وهكذا لا تتمكَّنُ البُذُورُ من مدِّ جُذُورِها لِتَصِلَ التُّربة. وسُرعانَ ما تُشرِقُ الشَّمسُ، حتَّى تتلَف هذه البُذُور ولا تأتي بِثَمَر.

عندما فَسَّرَ هذا المَثَل، فسَّرَ أنَّ هؤُلاء هُمَ الذين تُختَرَقُ أذهانُهم عندما يسمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ، ولكن ليسَ إرادتَهُم. غالِباً ما يتكلَّمُ يسُوعُ عن "القُلُوب المُتَقسِّيَة." عندما إستخدَمَ يسُوعُ هذه الصُّورة المجازِيَّة، كانَ يُعَلِّمُ أنَّ مركزَ إرادَتِنا، حيثُ تتمحوَرُ إراداتُنا، وتُتَّخَذُ قراراتُنا، قد تكُونُ مُغلَّفَةً بالإسمنت. هذا النَّوعُ الآخر من التُّربَة يُفسِّرُ ما قصدَهُ يسُوعُ عندما تكلَّمَ عنِ القُلوبِ القاسِيَة.

النَّوعُ الثالِثُ من التُّربَة أنتَجَ نبتَةً عندما نزَلَت فيهِ بُذُورُ الزَّارِع. ولكن، عندما نَمَت النَّبتَةُ كانت هُناكَ أشواكٌ كثيرةٌ، فخنَقَت هذه الأشواكُ الحياةَ من النَّبتَةِ، فلم تأتِ بِثَمَر. هذه الاشواكُ تُسمَّى في مُعظَمِ الترجمات "الزَّوان"، أو الأشواك. عندما فسَّرَ يسُوعُ هذا المثَل، شرحَ قائِلاً أنَّ الأشواكَ كانت هُموم العالَم كالمال، والمُمتَلَكات، أو عدم توفُّر هذه الأشياء، وكُلّ ما يُرافِقُ ذلكَ من هُمُوم وضُغُوط. والمقصُودُ هوَ أنَّ الناسَ ينشَغِلُونَ بالمالِ والمُقتَنَيات، وهكذا لا يُثمِرُونَ عندما يسمَعُونَ كلمةَ الله.

ثُمَّ قالَ أنَّ بعضَ البُذُورِ سَقَطَ على الأرضِ الجَيِّدة. لم يكُن هُناكَ شَيءٌ فوقَ التُّربَةِ أو تحتَها سيمنَعُ هذه التُّربَة من أن تأتِيَ بِثَمَر. وهكذا أنتَجَ الحصادُ ثلاثِين، وستِّين ومئةَ ضعفٍ لكَمِّيَّةِ البُذُور التي زُرِعت. قالَ يسُوعُ أنَّ هذا النَّوع الرابِع من التُّربَة هُوَ صُورَةٌ عن الشخص الذي يسمَعُ كلمةَ اللهِ، ويحفَظُها، ويحمِلُ ثماراً، بعضٌ ثلاثين، وآخر ستِّين، وآخر مئة ضعف. هُنا تكُونُ كلمةُ اللهِ قد دخَلَت إلى الأذهان، ومن ثمَّ إلى الإرادة، ولم يُسمَحْ لِشَيءٍ بأن يُبعِدَ هكذا أشخاص عن العمَلِ بما تُعلِّمُهُ كلمةُ اللهِ، وتَتَحدَّاهم وتُوحي لهُم بأن يعمَلُوه. وهكذا يُصبِحُ هؤلاء تلاميذَ مُثمِرينَ ليسُوع المسيح.

في هذا المَثَلِ الجميل، أولى يسُوعُ مُجَدَّداً قيمَةً كُبرى لكلمةِ الله. إنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي ما يجعَلُ منَّا مُثمِرينَ عندما نتجاوَبُ معها بطريقَةٍ صَحيحَة. ففي النِّهايَة، نحنُ نُظهِرُ مِقدارَ القيمة التي نُوليها لكلمةِ اللهِ، ليسَ بقَوانين الإيمان التي نُوَقِّعُها، بل بالسماحِ لكلمةِ للهِ بأن تخترِقَ أذهانَنا وإراداتِنا. فعندما نسمَعُ كلمةَ الله، علينا أن لا ندعَ أيَّ شَيءٍ يصرِف إهتِمامِنا عن تطبيقِ وعيشِ كلمةِ الله كالسُّلطَة النهائية للإيمانِ والحياة.

في هذا المثَل، نرى مُجدَّداً تَشديدَ يسُوع على أهمِّيَّةِ تطبيقِ كلمةِ الله عندما نسمَعُها. يبدُو أنَّ يسُوعَ يقُولُ في عدَّةِ أماكِن وعدَّةِ طُرُق، ما معناهُ "إنَّ ما نُؤمِنُ بهِ فعلاً، نعمَلُهُ. وكُلُّ ما عدا ذلكَ فَهُوَ مُجرَّدُ كلامٍ دينيّ، لا يحتاجُ أحدٌ إليه!"

الفَصلُ السَّابِع
محبَّةُ الخُطاة

لا نزالُ ندرُسُ نظامَ قِيَم يسُوع. في هذه الدِّراسة، نتأمَّلُ معاً بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لمحبَّةِ الخُطاة. نجدُ هذه الكلمات الجميلة في العهدِ الجديد:

"وبعدَ هذا خرجَ فنظَرَ عشَّاراً [أي جابِي ضرائِب معرُفٌ بِالغِشّ] إسمُهُ لاوي [أو متَّى] جالِساً عندَ مكانِ الجِبايَة. فقالَ لهُ إتبَعني. فتركَ كُلَّ شَيءٍ وقامَ وتَبِعَهُ.

"وصنعَ لهُ لاوي ضِيافَةً كَبيرَةً في بيتِه. والذين كانُوا مُتَّكِئينَ معَهُم كانُوا جَمعاً كَثيراً من عَشَّارِينَ وآخَرين. فتذمَّرَ كتبَتُهُم والفَرِّيسيُّون على تلاميذِهِ قائِلين لِماذا تأكُلُونَ وتَشرَبُونَ معَ عَشَّارِين وخُطاة. فأجابَ يسُوعُ وقالَ لهُم لا يحتاجُ الأصِحَّاءُ إلى طَبِيب بَلِ المَرضَى. لم آتِ لأدعُوَ أبراراً بَل خُطاةً إلى التَّوبَة." (لُوقا ٥: ٢٧- ٣٢)

وكما سبقَ وتعلَّمنا في هذه الدِّراسة، عبَّرَ يسُوعُ عن محبَّةِ ديناميكيَّة في كُلِّ تعامُلاتِهِ معَ الناس. والأشخاصُ الذين إلتَقوا بيسوع كانَ بإمكانِهم أن يرَوا المحبَّةَ في عينيهِ وحركاتِهِ، ممَّا إستأسَرَ قُلُوبَهم.

عندما كُنتُ في الجامِعة، كُنتُ أعمَلُ كبَوَّابٍ لبعضِ الصَّفُوف لكي أَسُدَّ مَصارِيفي، وذاتَ ليلة جِئتُ لأُنظِّفَ إحدى قاعاتِ الصُّفُوف، حيثُ كانَ

أحدُ مشاهِيرِ القادة الرُّوحيِّين قد أنهى مُحاضَرَتَهُ للتَّوّ. وكُنتُ أحمِلُ دَلواً ومِمسَحَةً، وكُنتُ أَهِمُّ على البَدءِ بالتنظيف. فإلتَفَتَ هذا الرَّجُلُ المشهُور إليَّ وأمسكَ بيدي وقالَ لي، "أيُّها الشاب، ما إسمُكَ؟" وحدَّقَ بوجهي، وللحظَةٍ من الزمان، رُغمَ أَنَّني لم أَكُن سِوى ذلكَ التلميذ الذي كانَ سيُنظِّفُ غُرفَةَ الصَّفِّ، جعلَني أشعُرُ أَنَّني أهمُّ شخصٍ في العالم على الإطلاق.

تصوَّرْ كيفَ كان سيكُونُ شعُورُكَ لو إلتَفَتَ إليكَ يسُوعُ بكامِلِ إهتِمامِهِ وأحبَّكَ! لا بُدَّ أنَّ إلتِفاتاتِهِ هذه أثَّرَت كثيراً على الناس الذين أحبَّهُم! فلماذا إنجذبَ إليهِ الخُطاةُ والعَشَّارُونَ إلى هذا الحدّ؟ أعتَقِدُ أنَّ سببَ ذلكَ هُوَ أَنَّهُ كانَ يَشُعُّ بالمحبَّةِ غير المَشرُوطة، وبالقُبُول، وفي تقاسِيمِ وجهِهِ وحركاتِهِ، كانَ بإمكانِهِم أن يروا أَنَّهُ أحبَّهُم.

يَصِفُ لُوقا يسُوعَ وهُوَ يأكُلُ ويشرَبُ معَ العَشَّارِينَ والخُطاة. حضرتُ إحتِفالاتَ طعامٍ كثيرة غير مَسيحيَّة، حيثُ كانَ المُتكلِّمُونَ يقُصُّونَ نِكاتاً غير لائِقة، الأمرُ الذي أحرجَني كثيراً خاصَّةً أنَّ جميعَ النَّاس كانُوا يعرِفُونَ أنِّني قسِّيس. في هذا الجَو المُربِك، طرَحتُ على نفسي السُّؤال، "كيفَ أمكَنَ ليسُوع أن يحضَرَ هكذا ولائم طعام، دُونَ أن يُصبِحَ غَيرَ مرغُوبٍ به؟ أعتَقِدُ أنَّ الجوابَ هُوَ أنَّ يَسُوعَ أحَبَّ العَشَّارِينَ والخُطاة – وهُم عرَفُوا أَنَّهُ أحبَّهُم.

إن كانَ يسُوعُ قد أحَبَّ العشَّارِينَ والخُطاة عندما عاشَ هُنا على الأرض، أفلا يُريدُ أن يُحِبَّهُم اليوم من خلالِكَ ومن خِلالي؟ لقد كانَ يسُوعُ صديقَ الخُطاة. فهل لَدَيكَ أيَّ صَديقٍ خاطِئ؟ وهل تتعاطَى معَ أشخاصٍ من الواضِح أنَّهُم خُطاة؟ تأمَّل بعلاقَتِكَ معَ يسُوع المسيح، وأنظُرْ إن كانَ المسيحُ الساكِنُ فيكَ حُرَّاً وغيرَ مُقيَّدٍ ليكُونَ من وما يُريدُ أن يكُونَهُ للخُطاةِ الذين تلتَقيهم في حياتِكَ.

هل تعتَرِفُ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ المسيحُ للمحبَّةِ للخُطاة، وذلكَ بأن تسعى وراءَهُم بشكلٍ واعٍ، وبأن تنقُلَ إليهِم محبَّةَ يسُوع المسيح؟

الفَصلُ الثامِن
معرِفةُ الله

لا نزالُ ندرُسُ قِيَمَ يسُوع المسيح. في هذا الفَصل، دَعُونَا نتأمَّلُ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لأهمِّيَّةِ معرِفَةِ الله. علَّمَ يسُوعُ أنَّنا عندما نتجاوَبُ بطريقَةٍ صحيحَةٍ معَ تعليمِهِ، يحدُثُ لنا أمرٌ رُوحِيٌّ يُؤثِّرُ على علاقاتِنا.

قضى يسُوعُ سنواتِهِ الثلاث من الخدمةِ العَلَنيَّةِ في هذا العالم، معَ تلاميذِهِ الإثني عشر. وكانَ هؤُلاء الإثنا عشر دائماً بِرِفقَتِه. لقد علَّمَهُم، وأظهَرَ لهُم أُمُوراً، وأرسَلَهم ودَرَّبَهُم. ولقد قضى ساعاتِهِ الأخيرة معَ هؤلاء الإثني عشر رجُلاً عندما عرفَ أنَّ ساعتَهُ قد جاءَت، وأنَّهُ سيُعتَقَلُ ويمُوتُ على الصليب من أجلِ خطايا العالم (يُوحنَّا ١٣- ١٦).

وخلالَ وقتِهِ معَهُم، وبينما شارَكَهم بأطوَلِ عظةٍ مُسجَّلَةٍ لهُ، فاجأَهُم جميعاً بقولِهِ لهُم: "سوفَ أترُكُكُم! ولكن لن أترُكَكُم يَتامَى. فبعدَ أن أترُكَكُم، سوفَ تحدُثُ مُعجِزَةٌ. ونتيجَةً لهذه المُعجِزة، سيُصبِحُ من المُمكِن أن تكُونَ بينَنا علاقَةٌ أكثَرُ حميميَّةً ممَّا كانَ لنا في السنوات الثلاث الأخيرة."

ثُمَّ أوضَحَ أنَّهُ كانَ يتكلَّمُ عن الرُّوحِ القُدُس. والكَلِمَةُ التي إستخدَمَها للتعبيرِ عن الرُّوحِ القُدُس كانت الكلمة اليونانِيَّة "باراكليت،" والتي تُتَرجَمُ بالمُعزِّي في الكثير من ترجماتِ الكتابِ المقدَّس. تعني كلمة "باراكليت" "الشخص الذي يقتَرِبُ منَّا ويلتَصِقُ بنا لدعمِنا ومُساعَدَتِنا."

في إطارِ هذه العلاقة الحَميمة التي كانت بينَ يسُوع وتلاميذِهِ، علَّمَ يسُوعُ قائلاً: "إن كُنتُم تُحِبُّونَني فاحفَظُوا وَصاياي؛ وأنا أطلُبُ من الآب فيُعطِيَكُم مُعزِّياً آخر لِيَمكُثَ معَكُم إلى الأبد، ... [إنَّهُ الرُّوحُ القُدُس]" (يُوحنَّا ١٤: ١٥- ١٧) تساءَلَ الرسُول يَهُوذا قائلاً، "ماذا حدَثَ حتَّى إنَّكَ مُزمِعٌ أن تُظهِرَ ذاتَكَ لنا وليسَ للعالم؟" فجاءَ جوابُ يسُوعُ، "إن أحَبَّني أحدٌ يحفَظْ كلامي ويُحِبُّهُ أبي وإليهِ نأتي وعِندَهُ نصنَعُ منزِلاً. الذي لا يُحِبُّني لا يحفَظُ كلامي." (يُوحنَّا ١٤: ٢٢- ٢٤)

كانَ يسُوعُ يقُولُ أنَّ طاعَةَ وصاياهُ ستُوصِلُنا إلى هذه العلاقة معَهُ، معَ الآب، ومعَ الرُّوحِ القُدُس المُعزِّي. ثُمَّ أوضَحَ يسُوعُ أنَّ هذه العلاقة الجديدة، التي ستُصبِحُ مُمكِنَةً من خِلالِ الرُّوحِ القُدُس، ومن خِلالِ طاعَةِ تعليمِهِ، ستَكُونُ حميمَةً أكثر من العلاقة التي تمتَّعَ بها معَ الرُّسُل أثناءَ السنوات الثلاث من خدمتِهِ العلنيَّة على الأرض. كانت هذه نظرَةٌ مُحَيِّرَةٌ

إلى القيمةِ التي وضعَها يسُوعُ على علاقتنا العمُوديَّة معَ الله، من خلالِ الرُّوحِ القدُس وبواسِطَةِ طاعَةِ تعليمِه.

ولقد ذهبَ خُطَوَةً أبعدَ من ذلكَ وقالَ ما معناهُ: "بالواقِع، عندما تُصبِحُ هذه العلاقَةُ الجديدَةُ في موقِعها الصحيح، ستعمَلُونَ أعمالاً أعظم من الأعمالُ التي عمِلتُها أنا." (يُوحنَّا ١٤: ١٢) يا لِهذا التحدِّي الكَبير! لقد شعرتُ دائماً أنَّهُ قصدَ أعمالاً أعظَم في الكَمِّيَّة، وليسَ في النَّوعِيَّة، لأنَّهُ سيكونُ هُناكَ الكثيرُ من التلاميذ الذين سينتَشِرُونَ في أقصاءِ الأرضِ قاطِبَةً. فبِمُساعَدَةِ الرُّوحِ القُدُس، والإبن يسُوع المسيح، والآب الحي في تلاميذِ المسيح، سوفَ يُمكِنُ هؤلاء التلاميذُ المَسُوقينَ من الرُّوحِ القُدُس، والمملُوئينَ بالرُّوح، أن يعمَلَ اللهُ من خِلالِهم أعمالاً خارِقَةً عظيمة.

المُلخَّص

إنَّ طاعَةَ تعاليم يسُوع هي مِفتاحُ الحُصُولِ والمُحافَظَةِ على علاقَةٍ معَ الرُّوحِ القُدُس، والمسيحِ المُقام، واللهِ الآب. وطاعَتُنا أيضاً ستُطلِقُ الرُّوحَ القُدُسَ ليعمَلَ ديناميكيَّاً في حياتِنا. أكَّدَ بطرُس هذه القيمة عندما قالَ، "يُعطي الرُّوحَ القُدُسَ للذين يُطِيعُونَهُ." وأوضَحَ بطرُس بينما كانَ يختَبِرُ مُعجِزاتِ يوم الخَمسين، أنَّ المسيحَ المُقام كانَ يَقِفُ وراءَ كُلِّ هذه الآيات والمُعجِزات في ذلكَ اليوم العجيب (أعمال ٥: ٣٢؛ ٢: ٣٣). ألا يضعُ هذا قيمةً كبيرَةً على فهمِنا وطاعَتِنا لتعاليمِ يسُوع، وعلى معرِفَتِنا الحقيقيَّة لله؟

التطبيق

إن كانَت تُعوِزُنا الحقيقَةُ الرُّوحِيَّةُ في حياتِنا، فعلينا أن نقبَلَ التحدِّي بأن نعتَرِفَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ المسيحُ لطاعَةِ تعليمِهِ ولمعرِفَةِ الله. فهل تُريدُ علاقَةً رُوحِيَّةً حيَّةً كواقِعٍ في حياتِكَ؟ عندها إقتَرِبْ من تعاليمِ يسُوع وأطلُبْ من الرُّوحِ القُدُس أن يُظهِرَ لكَ ماذا تقُولُ تعاليمُهُ، وماذا تعنيهِ، وماذا تعنيهِ لكَ شخصيَّاً عندما تَعيشُها.

إعتَرِفْ بالقيمةِ التي وضَعها يسُوعُ على طاعَةِ تعليمِه. لا أقصُدُ بهذا فقط الإستِيعاب والحفظ عن ظهرِ قَلب، ولا حتَّى مُجرَّدَ تعليمٍ قِيَمِهِ. بل أقصُدُ طاعتَها، تطبيقَها، والعمل بها، وجعلَ قيمَ المسيح قِيَمَكَ الشخصيَّة. وبِحَسَبِ وعدِ يسُوع، سوفَ يُؤدِّي هذا بكَ إلى علاقَةٍ معَ الرُّوحِ القُدُس،

ومعَ المسيحِ الحَيِّ المُقام، ومعَ اللهِ الآب. وعندها سيبني اللهُ الآبُ والإبنُ والرُّوحُ القُدُسُ علاقَةً معَكَ، وسيعمَلُ عملَهُ من خِلالِك.

الفَصلُ التاسِعُ
رَجُلٌ إسمُهُ بطرُس

إذ نُتابِعُ دراستَنا لقِيَمِ المسيح، دَعُوننا نتأمَّلُ بالقِيمَةِ التي وضَعها يسُوعُ على رَجُلٍ إسمُهُ "بُطرُس". عندما إلتَقى يسُوعُ بِبُطرُس، كانَ إسمُهُ سِمعان. وإن كانَ هُناكَ أيُّ شَيءٍ يُمَيِّزُ سِمعان عندما إلتَقاهُ يسُوع، فهُوَ عدَم الإستِقرار أو التقلُّب. تقُولُ إحدَى ترجمات الكتاب المقدَّس، "كانَ أحدُ هؤُلاء الرِّجال أندراوُس، أخُو سِمعان بُطرُس. فذهبَ أندراوُس ووجدَ أخاهُ بُطرُس، وقالَ لهُ، "لقد وجَدنا مَسِيَّا." فجاءَ بِبطرُس إلى يسُوع. فنظرَ يسُوعُ بتمعُّنٍ إلى بُطرُس وقالَ، "أنتَ سِمعانُ إبنُ يُونا، أنتَ تُدعى بطرُس الصخرة."

لقد أعطانا يسُوعُ مِثالاً عظيماً عندما حدَّقَ بِبُطرُس، ودعاهُ صخرة. ولكن، هل كانَ بطرُس ثابِتاً كالصخر؟ كلا، لم يكُنْ كذلكَ البتَّة. ولكنَّ يسُوع لم يرَ بُطرُس فقط كما كانَ عليهِ عندما رآهُ؛ بل رآهُ كما كانَ سيُصبِحُ في المُستَقبَل. جَرِّبْ هذه النظرة على بِناءِ العلاقاتِ معَ أولادِكَ. وجرِّبْ هذا على زوجَتِكَ. وجرَّبْ هذا على الأشخاص الذين يعمَلُونَ عندَكَ، أو الذين تعمَلُ معَهُم، وعلى أيِّ شَخصٍ تبني معَهُ علاقة. حاوِلْ أن تجعلَهُم يعرِفُونَ أنَّكَ تَثِقُ بطاقتِهم وقُدرَتِهم أن يكُونُوا كما يُريدُهم اللهُ أن يكُونوا. إنَّ إعطاءَ قيمة التشجيع الإيجابِيّ لِشخصٍ ما هُوَ تعبيرٌ عن محبَّتِكَ لهذا الشخص. إنَّ هذا النَّوع من المَحَبَّةِ هُوَ مُلهِمٌ لهُؤلاء، وهُمَ لا يستَطيعُونَ مُقاومتَهُ. هذا ما قصدَهُ بُولُس عندما قالَ لنا أنَّ "...المحبَّة تُصَدِّقُ كُلَّ شَيءٍ، ترجُو كُلَّ شَيءٍ، تحتَمِلُ كُلَّ شَيءٍ وتصبِرُ على كُلِّ شَيء،" وأنَّها لا تسقُطُ أبداً. (١كُورنثُوس ١٣: ٧، ٨)

نرى إصحاحاً آخرَ في علاقَةِ يسُوع معَ بُطرُس عندما سألَ الرَّبُّ الرُّسُلَ، "من تقُولُونَ أنِّي أنا؟" فجاءَ بطرُس بالجوابِ الصحيح، "أنتَ هُوَ المسيح، إبن الله." فأجابَ يسُوعُ بما معناهُ، "أنتَ لستَ بهذا الذَّكاء يا

بُطرُس. بل أبي الذي في السماوات هُوَ أعلنَ لكَ ذلكَ." (متَّى ١٦: ١٦، ١٧)

ثُمَّ تابَعَ يسُوعُ القَول أنَّ إيمانَ بطرُس كانَ الصخرة التي علَيها كانَ سيبنِي كنيستَهُ. أعتَقِدُ أنَّ يسُوع قصدَ أن يقُول أنَّ كَنيستَهُ كانت ستُبنَى على مُعجِزَةِ كونِ إنسانٍ مثل بطرُس قد أخذَ إعلاناً مثل الذي أخذَهُ بطرُس آنذاك. بكلماتٍ أُخرى، كانَ يسُوعُ سَيبنِي كنيستَهُ على مُعجِزَةِ أنَّ اللهَ يعمَلُ أُمُوراً غَير إعتِيادِيَّة من خلالِ أشخاصٍ إعتِيادِيِّين جداً، لمُجرَّدِ أنَّهُم جعَلُوا أنفُسَهُم مُتَوفِّرِينَ لهُ. فعبرَ سَردِ الإنجيل للعلاقَةِ بينَ يسُوع وبطرُس، نرى مرَّةً بعدَ الأُخرى محبَّةَ يسُوع تُؤكِّدُ لبُطرُس بإستمرار قائِلةً، "أنتَ تستطيعُ أن تعمَلَ ذلكَ يا بُطرُس. بمُساعَدَتِي، أنتَ تستطيعُ أن تعمَلَ ذلك."

في نهايَةِ وقتِهِم معاً، عرفَ يسُوعُ أنَّ جَميعَ الرُّسُل سوفَ يتَخَلُّونَ عنهُ ويهرُبُون، قبلَ أن ينتَهي الليل، وعرفَ أنَّ بطرُس كانَ على وشكِ إنكارِهِ لهُ. هُنا نجِدُ هذه الكلمات الجميلة المُسجَّلَة عن يسُوع. وأنا مُتَيقِّنٌ أنَّ بطرُس إستطاعَ أن يرى المحبَّةَ في عَينَي الرَّب، عندما قالَ لهُ الرَّبُّ: "سِمعانُ سمعان، هُوَّذا الشَّيطانُ قد طَلَبَكُم لِكَي يُغَربِلَكُم كالحِنطة. ولكنِّي صَلَّيتُ من أجلِكَ لكَي لا يفنَى إيمانُكَ. وأنتَ متى رجعتَ [أي متى رجعتَ إليَّ] ثَبِّتْ إخوَتَك." (لُوقا ٢٢: ٣١)

إذا وفَّقتَ بينَ الأناجيل الأربَعة، ستُدرِكُ أنَّ بطرُس قالَ هُنا ليسُوع، "أنا مُستَعِدٌّ أن أُسجَنَ وأمُوتَ معكَ." فأجابَ الرَّبُّ (وأعتَقِدُ أنَّهُ أجابَهُ بعينين مملُوءَتينِ بالمحبَّةِ لبُطرُس)، "أقُولُ لكَ يا بطرُس، لن يصيحَ الدِّيكُ قبلَ أن تُنكِرَ ثلاثَ مرَّاتٍ أنَّكَ تعرِفُني." قد تكُونُ على عِلمٍ أنَّ كلماتِ يسُوع هذه كانت نُبُوَّةً، ولقد تمَّمَ بُطرُس هذه النُّبُوَّة بحذافِيرِها. فعندما أنكَرَ بطرُس للمرَّةِ الثالِثة أنَّهُ يعرِفُ يسُوع، لِلوَقتِ صاحَ الدِّيك. عندها ظهَرَ يسُوعُ معَ الجُنُودِ الرُّومان الذين كانُوا يُسيئونَ مُعامَلَتَهُم لهُ، ويُخبِرُنا لُوقا أنَّ عيني بطرُس ويسُوع إلتَقَتا. فلا عجَبَ أنَّ بطرُس خرجَ إلى الظُّلمَةِ وبكى بُكاءً مُرَّاً (لُوقا ٢٢: ٣٣- ٣٤، ٦١- ٦٢).

صِناعَةُ شخصيَّةٍ مُهِمَّة من نَكِرَة

بعدَ إختِبار الإنكار الرَّهِيب هذا، يُسجِّلُ يُوحنَّا إصحاحاً آخَرَ في إنجيلِه عن العلاقَةِ بينَ يسُوع وبُطرُس (يُوحنَّا ٢١). إنَّ يسُوعَ صُلِبَ ودُفِنَ

وقام. يبدُو أنَّ بطرُس كانَ قد رجعَ إلى مهنَةِ الصيد. بإمكانِكُم أن تتَصَوَّرُوا الفَشَل وخَيبَةَ الأَمَل عندَ الرُّسُل في هذهِ المَرحَلَة. بإمكانِكُم أيضاً أن تتصوَّرُوا الشعُورَ بالذنبِ الرَّهيب الذي كانَ بُطرُس يختَبِرُهُ، لكونِهِ أنكَرَ رَبَّهُ ثلاثَ مرَّات.

عندها ظهَرَ الرَّبُّ لبُطرُس ولأُولئكَ الذين كانُوا يصطادُونَ معَهُ. وبِحُضُورِ سبعة من الرِّجال الذين كانُوا موجُودينَ في العُلِّيَّة عندما إفتَخَرَ بطرُس قائِلاً أنَّهُ لن يُنكِرَ سَيِّدَهُ، سألَهُ يسُوعُ ثلاثَةَ أسئِلةٍ صعبة. بِحُضُورِ هؤُلاء الرِّجال الآخرين، دارَ حَديثٌ بينَ يسُوع وبُطرُس، وكانَ مُؤدَّى هذا الحديث:

بعدَ الغَداء، قالَ يسُوعُ لبُطرُس ما معناهُ، "يا بُطرُس، أتُحِبُّني فعلاً أكثَرَ ممَّا يُحِبُّني هؤُلاء؟" عندما سألَ يسُوعُ هذا السؤال، إستَخدَمَ كلمة *Agape*، التي تعني المحبَّة الكامِلة التامَّة التي يَصِفُها بُولُس في ١كُورنثُوس ١٣ – المحبَّة الحقيقيَّة. فأجابَ بطرُس مُستَخدِماً كلمةً أُخرى للمحبَّة، *Phileo*. تَصِفُ هذه الكَلِمَةُ ذلكَ النَّوع من المحبَّة الذي يعني الصداقة. فكانَ بطرُس يُجيبُ بما معناهُ، "أنتَ تعرِفُ الجوابَ على هذا السُّؤال يا رَبّ. أنتَ تعرِفُ أنَّني مُجرَّدُ صديقِكَ. أنتَ تعرِفُ قَلبِي. وأنتَ تعرِفُ أنَّني أُحِبُّكَ بمحبَّةِ (فيلِيُو). لقد إستَخدَمَ بطرُس هذه الكلمة التي تختَلِفُ عن المحبَّة الكامِلَة التامَّة الحقيقيَّة، التي تأتي من الله، وتُؤتي إلتزاماً أو تكريساً كامِلاً.

لقد أجابَ بُطرُس بصِدق. فهُوَ الآن لم يعُد يتبجَّحُ، ولكنَّهُ يعتَرِفُ. وهُوَ لا يقُولُ، "أنا أُحِبُّكَ أكثَر مِمَّا يُحِبُّكَ الآخرُون." وكأنَّ الرَّبَّ يسألُهُ، "يا بُطرُس، أتُحِبُّني بِكُلِّ قَلبِكَ وعقلِكَ ونفسِكَ وقُدرتِكَ؟" ويُجيبُ بطرُس، "أنتَ تعرِفُ الجوابَ يا رَبّ. أنتَ تعرِفُ أنَّ محبَّتي لكَ لا تتعدَّى حُدُودَ الصَّداقَة."

لم يَعُد بُطرُس مُتَكَبِّراً ولا مُتَبَجِّحاً، بل أصبَحَ مكسُوراً، ومِسكيناً في الرُّوح. ولكن هُنا يكمُنُ الشَّيءُ المُثيرُ للإهتِمام عن هذا الحِوار العَميق بينَ يسُوع وبُطرُس. فعندما إعتَرَفَ بُطرُس للرَّبِّ بأنَّ محبَّتَهُ هي فقط صداقَة، قالَ لهُ الرَّبُّ، "إرعَ غَنَمي يا بطرُس." فأنا أُريدُ شخصاً مثلَكَ يعرِفُ ماذا يعني الفشَل برِعايَةِ غَنَمي. وأنا لا أُريدُ شخصاً كَمَالِيّاً يضَعُ مُتَطلَّبات غير واقِعيَّة على خِرافي. أُريدُ شخصاً مكسُوراً. أُريدُ شخصاً مُتواضِعاً. أُريدُ

شخصاً عَطُوفاً يهتَمُّ ويرعى الناس الفاشِلين. أُريدُ شخصاً مثلَكَ ليَرعَى غنَمي يا بُطرُس."

مرَّةً ثانَية طرَحَ الرَّبُّ السُّؤال، "يا بطرُس، أَتُحِبُّني فعلاً؟" ولقد إستَخدَمَ مرَّةً ثانِيَةً كلمة "آغابِّي." فأجابَ بطرُس ثانِيَةً بكلمة "فيليُو." وكانَ جوهَرُ جواب بُطرُس، "أنتَ تعرِفُ الجوابَ على هذا السُّؤال. أنتَ تعرِفُ أنَّني مُجرَّدُ صَديقِكَ." هذه المرَّة، قالَ الرَّبُّ، "إذن، إرعَ غَنَمي يا بطرُس." وأضافَ يسُوع، "إهتَمّ بغَنَمي يا بطرُس. فأنا أُريدُ شخصاً مثلَكَ لكي يهتَمَّ بِغَنَمي."

ولِلمَرَّةِ الثالِثة، سألَ الرَّبُّ، "يا بُطرُس، أَتُحِبُّني؟" هذه المرَّة إستخدَمَ يسُوعُ كلمة "فيليُو." وكأنَّ يسُوعَ يسأل، "يا سِمعان بن يُونا، هل أنتَ حتَّى صَدِيقِي؟ وكأنَّهُ يسألُ، "هل تَصِلُ محبَّتُكَ حتَّى إلى مُستَوى الصداقة؟ هل تَكِنُّ لي حتَّى هذا المقدار من المحبَّة؟"

لِهذا تألَّمَ بطرُس من الطريقة التي سألَهُ بها الرَّبُّ سُؤالَهُ للمرَّةِ الثالِثة. أعتَقِدُ أنَّ صَوتَ بطرُس غصَّ بالعاطِفة عندما أجاب، "يا رَبّ، أنتَ تعرِفُ قلبي. أنتَ تعرِفُ كُلَّ شَيء. أنتَ تعرِفُ أنَّني أكُنُّ لكَ على الأقل هذا المِقدار من المحبَّة." وللمرَّةِ الثالِثة، عندما إعتَرَفَ بطرُس بنَوعِيَّةِ محبَّتِهِ السطحِيَّة، قالَ الرَّبُّ لهذا الرَّجُل المكسُور القلب والمُتواضِع، "إرعَ غَنَمي يا بُطرُس." إنَّ بُطرُس الذي نلتَقي بهِ هُنا هُوَ شخصٌ مكسُورٌ ومتُواضِع.

التلخيصُ والتطبيق

يُعتَبَرُ هذا المقطع أحدَ أجمَلِ مقاطع العهدِ الجديد. يقُولُ الرَّبُّ لهذا القائِد المكسُور والمُتواضِع في كنيسةِ العهدِ الجديد، "يا بُطرُس، أُريدُ شخصاً مثلَكَ ليَرعى غَنَمي." هل سبقَ لكَ وتساءَلتَ لماذا تدفَّقَ الرُّوحُ القُدُس من خِلالِ بُطرُس يومَ الخَمسين؟ لماذا ليسَ من خِلالِ الرسُول يُوحنَّا مثلاً، الذي كانَ رَسُولَ المحبَّة؟ لماذا ليسَ من خِلالِ نثنائيل، الذي كانَ الرَّسُول الوحيد الذي وصفَهُ يسُوعُ بالمُقدَّس عندَما إلتَقاهُ؟ لماذا ليسَ من خِلالِ يعقُوب، الذي دعاهُ يسُوعُ بإبنِ الرَّعد؟

أعتَقِدُ أنَّ الله إستَخدَمَ بطرُس لِيَكرِزَ بالمواعظ التي أتَت بالآلاف إلى كنيسةِ المسيح المُقام عندما وُلِدَتِ الكنيسة، لِكون بطرُس قد أصبَحَ رسُولاً

مكسُوراً. دعا يسُوعُ بطرُسَ بالصخرة لثلاثِ سنوات، وبعدَ يوم الخَمسين، كانَ بُطرُس قائداً كالصخرة في الكنيسة.

يُحَيِّرُني أنَّ راعي الكنيسة العَظيم إستخدمَ الفَشَل لكَي يُحَقِّقَ النُّبُوَّةَ التي أعطاها لبُطرُس بكونِ تصريح إيمانِهِ سيكُونُ الصخرة التي عليها سيبني المسيحُ الكنيسة (١بطرُس ٢: ٤- ٦) وكما أوضَحتُ سابِقاً، إنَّ الصخرةَ التي أظهَرَها يسُوعُ عندما صرَّحَ بهذه النُّبُوَّة عن بطرُس، كانت مُعجِزة أنَّ المَسيح كانَ قادِراً أن يستَخدِمَ أشخاصاً إعتِيادِيِّين مثل بطرُس، ليكُونُوا وَسيلَةَ مُعجزاتِهِ غَير الإعتِياديَّة والخارِقة للطبيعة.

فالرَّبُّ لا يُريدُ أشخاصاً كَمَالِيِّين، أو أشخاصاً يُريدُونَ أن يُصِرُّونَ على المُتابَعَةِ في أُسطُورَةِ كَمَالِهم – أي أشخاصاً لا يعرِفُونَ ما هُوَ الفَشَل – ليقُودُوا شعبَهُ. بَل يُريدُ الرَّبُّ أشخاصاً مُتواضِعين، مكسُورين، عطُوفين، ليرعُوا غنمَهُ، ولا يضعوا توقُّعات غير واقِعيَّة من غنمِهِ. لهذا كُلُّ ما يحدُثُ لنا عندما نتبَعُ يسُوع – حتَّى فشَلنا – يُمكِنُ أن يكُونَ جزءاً من "كُلِّيَّةِ اللاهُوت" التي فيها يُعدُّنا الرَّبُّ لنُحِبَّ ونرعى غنَمَهُ.

هل سبقَ لكَ وفَشِلتَ؟ هل سبقَ لأحدٍ أن أعطاكَ تشجيعاً إيجابِيَّاً في وسطِ فشَلِكَ؟ عندها تستطيعُ أن تعرِفَ ماذا يعني أن تكُونَ محبُوباً وذا قيمة في عيني من يَثِقُ بكَ ويرجُو لكَ الأفضل، حتَّى عندما تفقُدُ كُلَّ أمَلٍ وكُلَّ ثِقَةٍ بِذاتِكَ. وفي النِّهايَة، هل تعتَرِفُ بالقيمَةِ التي وضعها يسُوعُ على محبَّةِ الناس الذين يفشَلونَ بإعطائِهم تشجيعاً إيجابيَّاً، أو الشُّبَّان والشابَّات الذين لم يسبِق لهُم أن نجحُوا في أيِّ ميدانٍ من مَيادِينِ الحياة؟ هل تَدعُوَ أيَّ شخصٍ ما بالصخرة، رُغمَ كونِهِ مشهُوراً بعدَمِ الإستقرار وبالتقلقُل؟

الفَصلُ العاشِر
رُوحُ النَّامُوس

نقرَأُ في الأناجيل أنَّهُ ذاتَ يوم، طُرِحَ على يسُوع سُؤالٌ صَعبٌ:

"وسألَهُ واحِدٌ منهُم وهُوَ نامُوسيٌّ لِيُجَرِّبَهُ قائِلاً: يا مُعَلِّم أيَّةُ وَصِيَّةٍ هي العُظمى في النَّامُوس. فقالَ لهُ يسُوعُ تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ من كُلِّ قَلبِكَ ومن كُلِّ نفسِكَ ومن كُلِّ فِكرِكَ. هذه هي الوَصِيَّةُ الأُولى والعُظمى. والثَّانِيَة

مِثلُها. تِحُبُّ قَريبَكَ كَنَفسِكَ. بِهَاتَينِ الوَصِيَّتَين يتعلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ والأنبياء." (متَّى ٢٢: ٣٥- ٤٠)

لخَّصَ يسُوعُ كامِلَ العهدِ القَديم بهَاتَينِ الوَصِيَّتَين: تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ وتُحِبُّ قَريبَكَ كَنَفسِكَ. إنَّ كُلاً من هاتَين الوَصِيَّتَين المُلَخَّصَتَين تُوصِيَانِنا بالمحبَّة، لأنَّ المحبَّةَ هي رُوحُ الوَصايا، والمحبَّةُ التي كانت في قَلبِ اللهِ هي التي ولَّدَت نامُوسَ الله.

الفَرقُ الأساسِيُّ بينَ يسُوع ورِجال الدِّين

كانَ هُناكَ فرقٌ أساسيٌّ بينَ تعليمِ يسُوع وتعليمِ الكتبة والفَرِّيسيِّين. تمَّ إيضاحُ هذا الفَرق بحادِثَةٍ نجدُها مُسجَّلَةً في إنجيلِ مرقُس: "واجتازَ في السَّبتِ بَينَ الزُّرُوع. فابتَدَأَ تلاميذُهُ يَقطِفُونَ السَّنابِل وهُم سائِرُون. فقالَ لهُ الفَرِّيسيُّون أُنظُرْ. لِماذا يفعلُونَ في السبتِ ما لا يَحِلُّ. فقالَ لهُم أما قرَأتُم قَطُّ ما فعلَهُ داوُد حينَ إحتاجَ وجاعَ هُوَ والذين معَهُ. كيفَ دخلَ بيتَ اللهِ في أيَّامِ أبيأثار رَئيسَ الكَهَنة وأكلَ خُبزَ التَّقدِمَة الذي لا يَحِلُّ أكلُهُ إلا للكَهَنة وأعطَى الذين كانُوا معَهُ أيضاً. ثُمَّ قالَ لهُم السبتُ إنَّما جُعِلَ لأجلِ الإنسان لا الإنسانُ لأجلِ السبت." (مرقُس ٢: ٢٢- ٢٨)

رَكَّزَ يسُوعُ بإستِمرار على مبدَأ أنَّ نامُوس الله يُعبِّرُ عن قَلبِ اللهِ المُحِبّ. ولقد وضعَ اللهُ هذه النَّواميس في موقِعِها، لأنَّهُ يُحِبُّ الناسَ الذين خلقَهُم. عرفَ اللهُ أنَّهُ إذا أطاعَ الإنسانُ هذه النَّواميس، فقد تُناسِبُهُ كثيراً. إن سعادَةَ الإنسان هي قصدُ ورُوحُ كُلِّ النواميس في العهدِ القَدِيم.

ولكنَّ الفَرِّيسيِّين والكَتَبَة فقدُوا نظرتَهُم لهذا المبدَأ. لقد كانُوا ذلكَ النَّوع من الناس الذين كانُوا سيترُكُونَ داوُد ورجالَهُ يمُوتُونَ جُوعاً، لكونِ النامُوس قالَ أنَّ الكهنَةَ وحدَهُم يَحِقُّ لهم أكلُ خُبز التقدِمة. لقد تبِعَ الكتبَةُ والفَرِّيسيُّونَ النامُوسَ بحرفِهِ بدُونِ محبَّة. وفقدوا رُؤيَةَ كونِ هذه النواميس جميعها قد خُلِقَت من أجلِ الإنسان، لأنَّ اللهَ أحَبَّ الإنسان. ولكنَّ يسُوع كانَ يقُول، "المحبَّةُ تُكَمِّلُ النامُوس. فتُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ من كُلِّ كيانِكَ، وتُحِبُّ قريبَكَ كَنَفسِكَ. بهذا تُتَمِّمُ النَّامُوس."

عدَسَةُ المحبَّة

بإمكانِنا أن نُلَخِّصَ الفرقَ بينَ يسُوع ورجال الدِّين بهذه الطريقة: قبلَ أن يُطبِّقَ يسُوعُ نامُوسَ الله على حياةِ الناس، مرَّرَ نامُوسَ اللهِ من خلالِ

عدَسَةِ محبَّةِ الله. أمَّا الفَرِّيسيُّونَ والكَتَبَة فتَخَطُّوا محبَّةَ اللهِ وطبَّقُوا نامُوسيَّاً وبِقساوَةٍ نامُوسَ اللهِ على حياةِ الناس. وفيما بعد في العهدِ الجديد، سمَّى الرسُولُ بُولُس ما فعلَهُ يسُوع "برُوحِ النامُوس"، وما فعلَهُ الفرِّيسيُّونَ "بحرفِ النامُوس." (٢كُورنثُوس ٣: ٦)

لقد أعطَى يسُوعُ قيمَةً كُبرَى للمحبَّة، بإظهارِهِ أنَّ المحبَّةَ هي القَلب، المَبدَأ، المِفتاح، والرُّوح الذي يُتمِّمُ النامُوس. أخبَرَ يسُوعُ الذين تبِعُوهُ أنَّهُم إذا فهِمُوا نظرَتَهُ للنَّامُوس، فإنَّ بِرَّهُم سوفَ يزيدُ على بِرِّ الكَتَبَة والفَرِّيسيِّين.

التلخيصُ والتطبيق

حانَ الوقتُ لأطرحَ عليكَ السؤال الذي طالَما طرحتُهُ عبرَ هذه الدِّراسة: هل تعتَرِفُ بالقِيَمةِ التي وضَعها يسُوعُ على رُوحِ النَّامُوس؟ عندما نُطَبِّقُ نامُوسَ الله على حياةِ النَّاس، هل تتهرَّبُ من المحبَّة وتُطَبِّقُ نامُوسَ اللهِ بشكلٍ نامُوسيٍّ حَرفِيّ؟ وكالفَرِّيسيّ، هل تستخدِمُ الوصيَّةَ التي كان المقصُودُ منها أن تُشبِعَ الجائع، لتجعَلَ من الجائعِ يَمُوتُ جُوعاً؟ أم أنَّكَ تُمَرِّرُ نامُوسَ الله عبرَ عدسَة محبَّةِ اللهِ، قبلَ أن تُطَبِّقَها على حياةِ النَّاس؟ هكذا تستطيعُ أن تعتَرِفَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ المسيح لنامُوسِ الله.

الفصلُ الحادِي عشَر
صلاةُ خاطِئ

لا نزالُ نُتابِعُ دراستَنا لقِيَمِ المَسيح. في هذا الفَصل، سوفَ نتأمَّلُ بالقيمةِ التي يضعُها يسُوعُ على صلاةِ الخاطِئ. يُظهِرُ لنا يسُوعُ في أحدِ أمثالِهِ الجَميلة القِيمَةَ الكُبرى التي يَضَعُها يسُوعُ على صلاةِ الخاطِئ. إن كلمة "مثَل"، *Parable* مُركَّبَةٌ من جزئين، إذ هِيَ تجمَعُ الكلمتَين *Para* و *ballo* معاً. تعني الكلمةُ الأُولى، "إلى جانِبِ شَيءٍ ما" والثانية تعني "أن نُلقِي." فالمَثَلُ هُوَ قصَّةٌ يُلقِيها مُعلِّمٌ إلى جانِبِ حقيقَةٍ يُريدُ أن يُعلِّمَها. لقد كانَ يسُوعُ أفضَلَ مُعَلِّمٍ للأمثال. في القِصَّةِ التالِيَة، يُلقي يسُوعُ قصَّةً إلى جانِبِ القيمة التي يَضَعُها على صلاةِ الخاطِئ. ونُخبَرُ أنَّ يسُوعَ علَّمَ هذا المثَل للشعبِ الذين كانُوا يِثِقُونَ ببِرِّهِم الذَّاتِي للخلاص، وكانُوا يحتَقِرونَ الآخرين:

"إنسانانِ صَعِدا إلى الهَيكَل لِيُصَلِّيا، واحِدٌ فَرِّيسيّ والآخَرُ عَشَّارٌ. أمَّا الفَرِّيسيُّ فوقفَ يُصَلِّي في نفسِهِ هكذا. أللَّهُمَّ أشكُرُكَ إنِّي لَستُ مثل باقي الناس الخاطِفينَ الظالِمينَ الزُّناة ولا مثل هذا العشَّار. أصُومُ مرَّتَين في الأُسبوع، وأُعشِّرُ كُلَّ ما أقتَنيه. وأمَّا العشَّارُ فوقفَ من بَعيد لايَشاءُ أن يرفَعَ عينيهِ نحوَ السماء. بَل قرعَ على صَدرِهِ قائِلاً اللَّهُمَّ إرحَمني أنا الخاطِئ. أقُولُ لكُن إنَّ هذا نزلَ إلى بَيتِهِ مُبَرَّراً دُونَ ذاك. لأنَّ كُلَّ من يرفَع نفسَهُ يتَّضِع ومَن يضَع نفسَهُ يرتَفِع." (لُوقا ١٨: ٩- ١٤)

هُنا نَجِدُ إيضاحاً رائعاً لقِيَم يسُوع. فهُوَ يَصِفُ رجُلَين، وصلاتَين، وما يُمكِنُ تسميتُهُ وقفَتَين. لقد أولى يسُوعُ قيمةً كُبرى لصلاةِ ووقفَةِ واحِدٍ من هذين الرَّجُلَين، والقليل من القيمةِ لِصلاةِ ووَقفَةِ الرجُلِ الآخر. لقد أعطَى يسُوعُ تعمُّداً قيمةً لأحدِ الرَّجُلَين أكثَرَ جِدّاً من القيمةِ التي أعطاها للآخر. ولقد أخبَرَ يسُوعُ بِقَصَّةِ هذين الرَّجُلَين لأنَّهُ أرادَ أن يُعلِنَ القيمةَ التي أولاها لِصَلاةِ الخاطِئ.

واحِدٌ من هذين الرَّجُلَين هُوَ فَرِّيسيٌّ، عُضوٌ في جماعَةٍ دينيَّة شُكِّلَت لتُحافِظَ على إستِقامَةِ الديانة اليَهُوديَّة. كانَ الفَرِّيسيُّونَ مُتَدَيِّنينَ كَثيراً. كانُوا يَصُومُونَ مرَّتَين في الأُسبُوع، وكانُوا يدفَعُونَ عُشُورَهُم. ولقد مدَحَهُم يسُوعُ على فعلِهم هذا. ولكنَّ بِرَّهُم كانَ بِرّاً ذاتِيّاً. لقد آمنُوا أنَّهُ بإمكانِهم أن يكُونوا ما يُريدُهم اللهُ أن يكُونُوا، من خِلالِ ضبطِهِم لِنُفُوسِهم بطريقَةٍ دينيَّةٍ مُتَطرِّفَة. وظنُّوا أنَّهُ بإمكانِهم أن يكونُوا أبراراً دُونَ الله.

الرَّجُلُ الآخرُ في هذا المثَل الجَميل هُوَ عشَّارٌ، أي جابِي ضرائِب كانَ يجمَعُ الضَّرائِب لِصالِحِ الرُّومان من إخوتِهِ اليَهُود. ولهذا كانَ العشَّارُونَ مكرُوهينَ بشكلٍ مُمَيَّز من قِبَلِ الشعبِ اليَهُودِيّ. لهذا أشارَ كُتَّابُ الأناجيل إلى العشَّارِينَ والخُطاة. لم يقصُد الكُتَّابُ أنَّ العَشَّارِينَ لم يكُونُوا خُطاةً، بل أنَّهُم خُطاة لدرجة إستِحقاقِ لقبِهم بجدارة.

كانت صلاةُ الفَرِّيسيّ تتمحوَرُ حولَ ذاتِهِ، لأنَّهُ في جُملَتَين قال "أنا" خمسَ مرَّاتٍ. تحتَوي الصلاةُ على عدَّةِ أجزاء، ولكن أن نُصَلِّي يعني بِشكلٍ أساسِيٍّ أن نطلُب. أمَّا هذا الفَرِّيسيّ فلم يطلُبْ من اللهِ شَيئاً. بل قالَ للهِ، أو لَرُبَّما للنَّاسِ الذي كانُوا يستَمِعُونَ إليهِ، كم كانَ رجُلاً صالِحاً. فقالَ عنهُ

يسُوعُ بِسُخرِيَةٍ ما معناهُ، "لقد صَلَّى معَ نفسِهِ." بدَأت صلاتُهُ معَ نفسهِ، إهتَمَّت بِنَفسِهِ، ولكنَّها لم تذهَبْ أبعدَ من نفسِه.

أمَّا العشَّارُ فلم يجرُؤ أن يرفَعَ عينيهِ نحوَ السماء. لقد كانَ مُتواضِعاً ومسحوقاً وشديدَ الأسَف علىخطاياه. عندما تُصلِّي صلاة الإنسحاق، يُولِي اللهُ قيمةً كُبرى لِصلاتِكَ. لقد أشارَ يسُوعُ إلى العشَّارِ وقالَ، "هذا ذهبَ إلى بيتِهِ مُبرَّراً." تعني كلمة مُبرَّراً، "وكأنَّهُ لم يُخطِئ أصلاً." فعندما رجعَ إلى بيتِهِ، لم يكُن فقط مغفُوراً لهُ، وليسَ فقط مُسامَحاً، بل كانَ وكأنَّهُ لم يُخطِئ أصلاً.

التلخيصُ والتطبيق

إن لم تكُنْ قد صلَّيتَ أبداً صلاة العشَّار، فإنَّ التطبيقَ الأساسيّ لهذه القيمة التي أعلنها يسُوعُ هي أنَّهُ عَلَينا أن نُصلِّي هذه الصلاة. وإذا كُنتَ قد صَلَّيتَ هذه الصلاة منذُ سنواتٍ طويلة، فإنَّ اللهَ يُولي قيمةً لهذه الصلاة في كُلِّ مرَّةٍ تُخطِئُ. إنَّ لُغةَ حركاتِ الجسد ووقفة العشَّار عبَّرت عن إنسِحاقِهِ، الذي يعني، "أنَّهُ كانَ شديدَ الأسَفِ على خطيَّتِه." لقد طلَبَ رحمَةَ الله. ولكن لم تكُنْ هذه حالَةُ الفَرِّيسيُّ. فهُوَ لم يُعَبِّرْ عن الإنسحاق، ولم يطلُبْ أيَّ شَيء. عندما أخطَأَ داوُد، بينما كانَ يعتَرِفُ بخَطيَّتِه، أعلَنَ قيمةً، هي أنَّ ما يُريدُهُ اللهُ منَّا عندما نُخطِئُ هُوَ "رُوحٌ مُنكَسِرَة، وقلبٌ مُنكَسِرٌ ومُنسَحِق." (مزمُور ٥١: ١٧).

يُظهِرُ هذا المَثَلُ بِوُضُوح القيمةَ التي أولاها يسُوعُ المسيح لصلاة التوبَةِ التي يُصلِّيها الخاطِئ. ولقد أولى يسُوعُ قيمَةً كُبرى للنَّاسِ الذي يرغَبُونَ بالإعتِراف بخطيَّتِهم وطلَب رحمةَ الله بإسمِ يسُوع. فعندما نعتَرِفُ بخَطِيَّتِنا في صلاةِ إنسحاقٍ، فإنَّنا لا نكتَشِفُ فقط القيمةَ التي وضعها يسُوعُ علينا كخُطاةٍ ضالِّين وكأشخاصٍ مُتألِّمين، بل نكتَشِفُ أيضاً الخلاص الذي جاءَ يسُوعُ لكَي يُحقِّقَهُ للجَميع.

هل أنتَ خاطِئٌ، وهل تعرِفُ ذلكَ؟ أيُّ شَخصٍ يرغَبُ بأن يعتَرِفَ بخَطِيَّتِهِ بإمكانِهِ أن يختَبِرَ الغُفران. فإن كُنتَ قدِ إعتَرَفتَ بِخَطِيَّتِكَ منذُ زمَنٍ طويل، هل تُولي اليومَ قيمةً للخُطاةِ الذين لم يتُوبوا بعد؟ وكيفَ تشعُرُ عندما تلتَقي في حياتِكَ معَ خاطِئٍ حقيقيّ؟ إن كانَ المسيحُ يحيا فيكَ، لا تتَفاجَأْ إن تدفَّقَ قَلبُكَ بالمحبَّةِ عندما ستلتَقي بخاطِئٍ يرغَبُ بالإعتِرافِ بكونِهِ خاطِئاً.

الفصلُ الثانِي عشَر
أَشخاصٌ ضالُّونَ ومُتَألِّمُون

نُتابِعُ معاً دارسَتَنا لقِيَم يسُوع المسيح، ونقصُدُ بذلكَ نظام أو مجموعة قيم يسُوع المسيح. ونحنُ الآن بِصددِ النظَر إلى القيمةِ التي وضعَها يسُوعُ على نفسِهِ، وعلى كلمةِ الله، وعلى أشخاصٍ نظِيرِكَ ونَظيري.

وبينما نُتابِعُ النظَر في القيمةِ التي أولاها يسُوعُ للأشخاصِ الضَّالِّين والمُتألِّمين، دعُونَا نرجِعُ إلى الفَصل الرَّابِع من إنجيلِ يُوحنَّا، والمُقابَلة الرائعة بينَ يسُوع والمرأة السامِريَّة عندَ بِئرِ سُوخار. هُناكَ أربَعَةٌ وخَمسُونَ عدداً في الإصحاحِ الرَّابِع من إنجيلِ يُوحنَّا، وإثنان وأربَعُونَ منها تتكلَّمُ عن هذه المُقابَلة. ممّا يعني أنَّهُ لا مجالَ لِذكرِ هذه الأعداد جميعها هُنا. ولكنِّي أَوَدُّ أن أقُومَ بِبَعضِ المُلاحظات حولَ الأعداد الإثنين والأربَعين التي تُعالِجُ المُقابَلة.

أوَّلاً، بينما ننظُرُ إلى هذه المُقابَلة بينَ يسُوع والمرأة السامِريَّة، ولتَحقيقِ أهدافِنا، دَعُونا نتأمَّلُ بالقِيمَةِ التي أَولاها يسُوعُ لهذه المرأة، كونها ضالَّةً ومُتألِّمة. نقرَأُ أنَّهُ عندما كانَ يُرتِّبُ هذا اللِّقاء، كانَ عليهِ أن يجتازَ السامِرة في طريقِهِ من اليَهُوديَّةِ إلى الجَليل. ومن المعرُوف أنَّ اليهوديَّةَ كانت في جَنُوبي الأراضِي المُقدَّسة، أمَّا الجليل ففي الشمال، وبينَ هاتَين المِنطَقَتين كانت تقَعُ منطَقةُ السامِرة.

لقد كانَ لدى اليَهُود أحكامٌ مُسبَقة ضِدَّ السامِريِّين، ولهذا عندما كانُوا يُريدُونَ أن يقُوموا بهذه الرِّحلة، كانُوا يخرُجُونَ عن هذه الطريق عدَّةَ أميالٍ لكي يتحاشُوا المُرُور عبرَ السامِرة. لقد كانَ اليَهُود يحتَقِرونَ السامِريِّين، وكانُوا يكرَهُونَهُم لدرجة أنَّهم كانُوا يتجنَّبُونَ المُرُورَ في السَّامِرَة. أمَّا يسُوع، فعندما أرادَ أن يقُومَ بهذه الرِّحلة، تعمَّدَ أن يجتازَ مُباشَرَةً عبرَ السامِرة. عندما كانَ في قَلبِ السامِرة، توقَّفَ وسطَ النَّهارِ عندَ بِئر. نقرَأُ أنَّهُ كانَ قد تعِبَ من الرَّحلة، فجلسَ عندَ بِئر.

عندما تدرُسُ شخصيَّةَ يسُوع المسيح في ناسُوتِهِ، تجدُ أنَّهُ عانَى من كُلِّ ما نُعاني منهُ نحنُ. لقد عانَى من التعَبِ ومن العَطَش. وعانَى حتَّى من الإرهاقِ بسببِ إرتِفاعِ حرارَةِ الطقس، الأمرُ المألُوفُ جداً في هذه المنطَقة

من العالم. ويبدُو أنَّهُ أرسَلَ الرُّسُل بعيداً لكَي يشتَرُوا طعاماً، وعندما رَجَعُوا حامِلين الطعامَ الذي إشتَروهُ، لم يُرِدِ أن يأكُلَ. أعتَقِدُ أنَّهُ من الواضِحِ أنَّهُ أرادَ أن ينفَرِدَ بعضَ الوقت لكي يتسنَّى لهُ اللِّقاء معَ هذه المرأة.

إن كانَت لدَيكَ أدنى فِكرة عن الإرشاد أو حتَّى مُقابَلة الناس، تعرِفُ مِقدارَ قيمةِ اللقاء على إنفِراد معَ النَّاس. فهُناكَ أشياء لن يبُوحُوا بها مُطلَقاً، طالَما كانَ هُناكَ شخصٌ ثالِثٌ يجلِسُ معكُما. هُناكَ درجَةٌ من إنفِتاحِ القَلب نشهَدُها في اللقاءاتِ المُنفَرِدَة بينَ شَخصَين، التي لن نَشهَدَها أبداً عندَ وُجُودِ شخصٍ ثالِث. ولقد عرفَ يسُوعُ هذا الأمر.

ولكن لاحِظْ قبلَ كُلِّ شَيء، كم أعطى يسُوعُ أهمِّيَّةً وقيمةٍ لهذه المرأة، من خِلالِ الوقت الذي قضاهُ معَها. لقد تجاهَلَ يسُوعُ الكراهِيَةَ بينَ اليَهُودِ والسامِرِيِّين – خاصَّةً إمرأةً سامِرِيَّة، وخاصَّةً إمرأَةً ذاتَ سُمعَةٍ مَشبُوهة. وتجاهَلَ تعبَهُ وعطَشَهُ، وتأكَّدَ من عدَمِ وُجُودِ أحدٍ يُشوِّشُ هُدُوءَ لِقائِهِ معَ هذه المرأة. بإمكانِكَ أن تَرَى يُقَيِّمُ يسُوعُ هذه المَرأة، وكيفَ يُقيِّمُ مُقابَلَتَهُ معَها.

أتَساءَلُ كيفَ كانت يا تُرى المُقابَلة وجهاً لِوَجهٍ معَ يسُوع المسيح. تصوَّرَ كيفَ كانَ الأمرُ لو نظَرَ يسُوعُ مُباشَرَةً إلى عَينَيك، كما فعلَ معَ الشَّابِّ الغَنِيّ، حيثُ نقرَأُ: "فنَظَرَ إليهِ يسُوعُ وأَحَبَّهُ..." (مرقُس ١٠: ٢١) أتَساءَلُ كيفَ كانَ يشعُرُ الإنسانُ الذي عرفَ أنَّ يسُوعَ أحبَّهُ. فكُلُّ من إلتَقَى بِيسُوع عرفَ أنَّ يسُوعَ أحَبَّهُ. وأعتَقِدُ أيضاً أنَّ هكذا أشخاص كانُوا جميعاً مُتَيَقِّنِينَ من محَبَّةِ يسُوع لهُم. لقد نقلَ يسُوعُ لهؤُلاء الحقيقَةَ الجمِيلَةَ أنَّهُ أحَبَّهُم بدُونِ شُرُوط. وأنا مُتَيَقِّنٌ أنَّ هذه حالُ هذا اللقاء معَ المَرأَةِ السامِرِيَّة.

تِقَنِيَّةُ اللِّقاءات عندَ يسُوع

لقد بدَأَ يسُوعُ حديثَهُ معها بوضعِ نفسهِ تحتَ الحاجَةِ بالنسبَةِ لها. طلَبَ منها أن تُعطِيَهُ ماءً لِيَشرَبَ. وأن تضعَ نفسَكَ تحتَ الحاجَةِ بالنسبَةِ لشخصٍ ما، هُوَ أحدُ أجمَلِ الطُّرُق لتبدَأَ لِقاءً معَهُ. عندما بدَأَ يسُوعُ لِقاءَهُ بهذه الطريقة، كانَ يفعَلُ شيئاً غيرَ إعتِيادِيٍّ في تِلكَ الحضارة. بالنسبَةِ للِيَهُودِيّ، إنَّ مُجرَّدَ التحدُّثِ معَ شخصٍ سامِرِيّ هُوَ أمرٌ غَيرُ إعتيادِيّ، خاصَّةً معَ إمرأَةٍ سامِرِيَّة. لقد كانَ حدِيثُ يسُوع معَ إمرأَةٍ سامِرِيَّة أمراً

مُنافِياً لِحضارَتِهِ، خاصَّةً معَ إمرأةٍ تعيشُ حياةً مَشبُوهَة كالسامِرِيَّة. وهذا ما ظهَرَ في اللِّقاء، وبالطبع كانَ يسوعُ يعرِفُ كُلَّ شَيءٍ عنها عندما بدَأَ حديثَهُ معَها.

عندما بدأَ لِقاءَهُ، رَكَّزَ على عطَشِ المرأة. وهكذا، فإنَّنا نكُونُ قد رأينا القيمة التي أعطاها يسُوعُ لنفسِهِ في هذا اللِّقاء. لقد قدَّمَ يسُوعُ تصريحاتٍ حيويَّة بكَونِهِ المَسيَّا. ولقد تأمَّلنا سابِقاً بهذا اللقاء لأهداف أُخرى – ليُبرهِنَ الطريقة التي بها قيَّمَ نفسَهُ. ونَودُّ الآن أن نتأمَّلَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لهذه المرأة. كُلَّ هذا عُبِّرَ عنهُ بِكَلِمَةٍ واحِدَة هي "العَطَش،" الذي نعرِفُهُ جميعُنا. في إنجيلِ يُوحنَّا، ركَّزَ يسُوعُ على حاجاتِ الإنسان الأساسيَّة.

لقد كانت هذه المرأة عطشانة. فركَّزَ يسُوعُ على عَطَشِها وقال، "كُلُّ من يشرَبُ من هذا الماء يعطَشُ أيضاً، ولكن من يشرَب من الماء الذي أُعطيهِ أنا فلن يعطَشَ إلى الأبد. بَلِ الماءُ الذي أُعطيهِ يَصيرُ فيهِ يَنبُوعَ ماءٍ ينبَعُ إلى حياةٍ أبَديَّة. (يُوحَنَّا ١٣، ١٤) في هذه الأعداد، وصفَ يسُوعُ الحَلَّ الذي يستطيعُ العَطشانُ أن يجِدَهُ في يسُوع.

في بِدايَةِ اللِّقاء، تعجَّبَتِ المرأَةُ أنَّهُ لم يكُن لدى يسُوع ماء، والبِئرُ عميقة. كانَتِ الجرَّةُ رمزاً أو دليلاً على عطَشِها. وكَونُها قد سبقَ وتزوَّجَت بخمسةِ أزواجٍ تِباعاً، وكانت تعيشُ آنذاك معَ رجُلٍ لم يكُن زوجَها، يدُلُّ على أنَّ عطَشَها كانَ أعمَق من مُجرَّدِ العَطَشِ للماء. ونتيجَةً لهذا اللِّقاء وللطريقَة التي قيَّمَ بها يسُوعُ كثيراً هذه المرأة، نقرَأُ في العدد ٢٨ من إنجيلِ يُوحنَّا الإصحاح الرَّابِع: "فتَرَكَتِ المرأَةُ جرَّتَها ومَضَت إلى المَدينة وقالَت لِلنَّاس. هَلُمُّوا أنظُرُوا إنساناً قالَ لي كُلَّ ما فعَلت." هذا العددُ هُوَ واحِدٌ من أجمَلِ الأعداد في الأناجيل، لأنَّهُ وَصفٌ للمرأةِ التي إلتقت بالمسيح، وشَرِبت من المياهِ الحيَّة ورَوَت عطَشَها. يا لِهذه القصَّة الجَميلة!

ينابِيعُ وأنهَارٌ

لقد أخبرَ يسُوعُ هذه المرأة أنَّها حالما تشرَبُ من هذا الماء الحيّ، فإنَّ هذا الماء سيُصبِحُ فيها نبعَ مِياهٍ يرتَوي منهُ الآخرُون. ولقد تحقَّقَ هذا حَرفِيَّاً، عندما تَرَكَتِ المَرأَةُ جرَّتَها وذهبت لرجالِ السامِرة وقادَتهم إلى يسُوع وإلى المياهِ الحيَّة.

في إنجيل يُوحنَّا الإصحاح السابِع، ركَّزَ يسُوعُ أيضاً على مفهُوم العَطَش. قالَ يسُوعُ في يُوحنَّا ٧ ما معناهُ، "إن عَطِشَ أحدٌ، فليُقبِلْ إليَّ ويشرَب. من آمنَ بي كما قالَ الكِتابُ تَجري من بَطنِهِ أنهارُ ماءٍ حَيّ. وهُوَ لن يكتَشِفَ فقط عندما يشرَبُ منِّي، أنَّني أنا ماءُ الحياة الذي يُروي عطَشَهُ للأبد، ولكن بعدَ أن يُروي ماءُ الحياةِ عطَشَهُ هذا، سوفَ يُصبِحُ الماءُ الحَيُّ فيهِ أنهارَ ماءٍ حَيّ تُروي عطشَ الذين يلتَقيهِم في حياتِه."

في كُلِّ لِقاءاتِ يسُوع هذهِ، سوفَ يُواجِهُ الناسَ بمفهومِ التوبة الذي يعني "إعادَة التفكير" في نظامِ القِيَم. فأن تُعيدَ التفكير بأُسلوبِ حياتِكَ، بدونِ أن تُحوِّلَ إتِّجاهَكَ للإتِّجاهِ المُعاكِس، لن تستطيعَ أن تنالَ ماءَ الحياة. عندما إتَّضحَ هذا الأمرُ للسَّامِرِيَّة، تابَت عن خطاياها، الأمرُ الذي جعلَ هذه القُوَّة شيِّقَةً ورائعة.

ولكن ما نُريدُ أن نراهُ في هذه القصَّة هُوَ القيمة التي أولاها يسُوعُ لهذه المرأة العطشى؛ هذه المرأة السامِرِيَّة البَسيطة، والخاطِئة. عندما ترى القيمة التي أولاها يسُوعُ لهذه المرأة، ترى وصفاً للقيمةِ التي وضعها يسُوعُ على أشخاصٍ نظيرها. كُنَّا نتأمَّلُ في دراستِنا بالقيمةِ التي وضعها يسُوعُ على الأشخاصِ الضَّالِّينَ المُتَألِّمين. أليسَ هذا اللِّقاءُ مِثالاً رائِعاً على ذلكَ؟ فخلالَ مُرُورِ يسُوع عبرَ السامِرة، وضعَ قيمةً كُبرى على هذه المرأة الواحدة، التي قضى معها وقتاً على إنفراد، لأنَّهُ إهتَمَّ بها كَثيراً. وبها عبَّرَ يسُوعُ عن أنَّهُ "هكذا أحبَّ اللهُ العالم حتَّى جاءَ إلى هذا العالم ليُعبِّرَ عن محبَّةِ الآب."

مرَّةً جديدة علينا أن نُواجِهَ التحدِّي. فعِندما تلتَقي بإمرأةٍ خاطئة مثل السامِرِيَّة، هل لديكَ ذلكَ النَّوع من التكريسِ والإهتِمام بهذا النوع من الخُطاة، كما كانَ لدى يسُوع؟ وهل تعتَرِفُ بالقِيمَةِ التي أولاها يسُوعُ للأشخاصِ الضَّالِّين؟

الفَصلُ الثالِث عشَر

تعليمُ الله

لِلأسَف، يعتَقِدُ الكَثيرُونَ اليوم أنَّهُ من الإستِنارَةِ الرُّوحِيَّة أن يُؤمِنَ الإنسانُ أنَّ كلمةَ الله ليسَت السُّلطَةَ النِّهائِيَّةَ اليوم للإيمانِ والحَياة. لقد أظهَرَ

يسُوعُ أنَّ السُّلطةَ النِّهائِيَّةَ للإيمانِ والمُمارَسة يُمكِن أن تكُونَ إمَّا الإنسان أو الله؛ وقالَ يسُوع أنَّ هذه السُّلطة ينبَغي أن تكُونَ الله. في هذه الدِّراسة لِقِيَم المسيح، أودُّ أن أعتَبِرَ القِيمةَ التي وضعَها يسُوعُ المسيحُ على تعليمِهِ عندما صرَّ حَ بأنَّ تعليمَهُ هُوَ تعليمُ الله:

"فتعجَّبَ اليَهُودُ قائِلين كيفَ هذا يعرِفُ الكُتُب وهُوَ لم يتعلَّم. أجابَهُم يسُوعُ وقالَ تعليمي ليسَ لي بَلْ للذي أرسَلَني. إن شاءَ أحدٌ أن يعمَلَ مشيئَتَهُ يعرِفُ التعليم هل هُوَ من الله أم أتكلَّمُ أنا من نَفسِي." (يُوحنَّا ٧: ١٥- ١٧)

ما يقُولُهُ يسُوعُ هُنا هُوَ التالي: "أنا لَستُ مُجرَّدَ مُعلِّمٍ لِلنَّامُوس. فتعليمِي هُوَ تعليمُ الله." كيفَ تعرِفُ إن كانَ تعليمُ المسيح هُوَ تعليم الله؟ كَون الأسفار المقدَّسَة هي كلمة الله، وليسَت مُجرَّد كلمة الأشخاص الذين كتبُوها، هُوَ عِرضَةٌ للهُجُومِ الصريحِ اليوم. هُناكَ عدَّةُ أشخاصٍ يدَّعُونَ بأنَّهُم أتباع المسيح، ولكنَّهُم لا يُؤمِنُونَ بأنَّ الكتابَ المقدَّسَ هُوَ كلمةُ الله. هُنا في يُوحنَّا ٧، نجدُ تحدِّياً مُباشَراً من قِبَلِ يسُوع. فهُوَ يقُولُ أنَّ تعليمَهُ هُوَ تعليمُ اللهِ وكلمةُ الله.

كيفَ يُمكِنُ أن تعتَرِفَ بهذه القيمة للمسيح؟ وكيفَ يُمكِنُ أن تُقدِّمَ بُرهاناً على أنَّ تعليمَ يسُوع هُوَ تعليمُ الله؟ لقد وضعَ أمامَنا التحدِّي بأن نُبرهِنَ أنَّ تعليمَهُ هُوَ كلمةُ الله المُوحى بها، وذلكَ بإقتِرابِنا من تعليمِهِ مُزوَّدِينَ بالإرادَةِ لنعمَلَ ما يقُولُهُ لنا تعليمُهُ أن نعمَل. طَبِّقْ هذا على حَياتِكَ. بالنسبَةِ ليسُوع، عندما نعمَلُ هذا، سنعلَمُ أنَّ تعليمَهُ هو تعليم الله. هذا مُناقِضٌ للنظَرةِ العقلانِيَّةِ لهذا الموضُوع، التي تقولُ غالِباً، "عندما أعلَم، عندها سأعمَل." أمَّا يسُوع فيقُولُ هُنا، "كلا. ليسَ الأمرُ كذلكَ. فعليكَ أولاً أن تُلزِمَ إرادَتَكَ. ومن ثَمَّ يتبَعُ التأكيدُ العقلانِيُّ. عندما تعمَلُ هذا، سوفَ تعلَمُه."

خُذْ واحِداً من تعاليمِ يسُوع كمَثَلٍ على ذلكَ: "مغبُوطٌ هُوَ العَطاء أكثَرُ من الأخذ." (أعمال ٢٠: ٣٥) خُذْ هذه الحقيقة وطبِّقها على زواجِكَ، وعلى زوجَتِكَ وأولادِكَ. لنَفتَرِضْ أنَّكَ قرَّرتَ أن تُطبِّقَ هذا التعليم على زواجِكَ. عندها ستبدَأُ العيش في زواجِكَ هذا، ليسَ من أجلِ من ستحصَلُ عليهِ، بل من أجلِ ما ستُعطِيه. عندما تعمَلُ هذا، عندما تُطبِّقُ فعلاً التطويبَ التاسِع، سوفَ تكتَشِفُ أنَّ تطبيقَ هذا التعليم يُمكِنُ أن يُحدِثَ ثَورَةً وتغييراً في

زواجِكَ. وبإمكانِ هذا التعليم أن يُحدِثَ ثَورَةً وتغييراً في علاقَتِكَ معَ أَولادِكَ، معَ أهلِكَ، أو معَ الأشخاص الذين تعمَلُ معَهُم. بإمكانِ هذا التعليم أن يُحدِثَ ثَورَةً وتَغييراً في كُلِّ علاقاتِكَ.

ما يقُولُهُ يسُوعُ هُنا هُو، "إذا أردتَ أن تُبَرهِنَ أنَّ تعليمي هُوَ تعليم الله، إعمَلْ بهِ. طبِّقْهُ. وعندما تُطَبِّقُهُ، تأمَّل كيفَ سيُؤثِّرُ تعليمي على حياتِكَ. هذا سيُقنِعُكَ أنَّ تعليمي ليسَ مُجرَّدَ تعليم مُعلِّمٍ آخر من مُعَلِّمي النامُوس، بل هُوَ تعليم الله."

هل ترغَبُ بأن تعتَرِفَ بالقِيمَةِ التي وضعَها يسُوعُ على تعليمِهِ؟ وهل ترغَبُ بأن تعتَرِفَ بالقِيمَةِ التي وضَعها يسُوعُ على تعليمِهِ، بمُجرَّدِ تطبيقِهِ في حياتِكَ؟ وهل ستُطبِّقُ تعليمَ يسُوع في الأوضاعِ الحقيقيَّةِ في حياتِكَ؟ وهل ستُطبِّقُ تعليمَ يسُوع المسيح على علاقاتِكَ، ومن ثمَّ تُبَرهِنُ أنَّ تعليمَهُ هُوَ بالفعل تعليم الله؟

الفَصلُ الرَّابِع عشَر
أولَوِيَّاتُ النَّاس

لا نزالُ ندرُسُ نِظامَ قِيَمِ يسُوع المَسيح. فنحنُ بِصَدَدِ إقتِفاءِ آثارِهِ عبرَ الأناجيل، مُراقِبينَ إيَّاهُ وهُوَ يُعرِّفُ قِيَمَهُ. لقد برهَنَ يسُوعُ قيمَهُ أحياناً من خِلالِ أولويَّاتِه. هُناكَ قِصَّةٌ تُدهِشُنا في إنجيلِ لُوقا، التي تُبَرهِنُ لِلشعب أولويَّاتِ يسُوع:

"وإذا رَجُلٌ إسمُهُ يايرُس قد جاء. وكانَ رَئيسَ المجمَع. فوقعَ عندَ قَدَمَيْ يسُوع وطَلَبَ إليهِ أن يدخُلَ بيتَهُ. لأنَّهُ كانَ لهُ بِنتٌ وَحيدَةٌ له نحوُ اثنَتَي عشرةَ سنَةً وكانَت في حالِ الموت. فَفِيما هُوَ مُنطَلِقٌ زحَمَتْهُ الجُموع.

"وإمرأَةٌ بِنَزفِ دَم منذُ إثنَتَي عشرَةَ سنَةً وقد أنفَقَت كُلَّ مَعِيشَتِها لِلأطِبَّاء ولم تقدِرْ أن تُشفَى من أحَد. جاءَت من ورائِهِ ولمَست هُدبَ ثوبِهِ. ففي الحال وقفَ نزفُ دَمِها.

"فقالَ يسُوعُ من الذي لَمَسَني. وإذ كانَ الجَميعُ يُنكِرُونَ قالَ بُطرُس والذِينَ معَهُ يا مُعَلِّم الجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عليكَ ويزحَمُونَكَ وتَقُولُ من الذي لمَسَمني. فقالَ يسُوعُ قد لمَسَني واحِدٌ لأنِّي عَلِمتُ أنَّ قُوَّةً قد خرَجَت منِّي.

"فَلَمَّا رَأَتِ المرأَةُ أَنَّها لم تختَفِ جاءَت مُرتَعِدَةً وخَرَّت لهُ وأَخبَرَتْهُ قُدَّامَ جَميعِ الشعب لأيِّ سَبَبٍ لَمَستْهُ وكَيفَ بَرِئَت في الحال. فقالَ لها ثِقِي يا ابنة. إيمانُكِ قد شَفاكِ. إذهبِي بِسلام." (لُوقا ٨: ٤١- ٥٦)

في هذه القصَّة الجملية، نرى يسُوعَ مُجدَّداً يضعُ قيمةً كُبرى على الأشخاصِ الضَّالِّينَ والمُتَألِّمين. ولكن هُنا نجِدُ أزمَةً. فلقد إلتَقى يسُوعُ بِشخصَينِ مُتألِّمَين: والِدٌ كانت إبنتُهُ على فِراشِ الموت، وهذه المرأة التي كانت تنزِفُ منذُ إثنَتَي عشرَةَ سنَةً. حتَّى يسُوع، في الجسد، لم يكُنْ قادِراً أن يكُونَ في مكانَينِ في وقتٍ واحِد. كُلُّ راعي كنيسة أو مُساعِدٌ صِحِّيٌّ يعرِفونَ الضغط الناتِج عن أولويَّات الناس. فعندما يكُونُ وقتُكَ مملوءاً بالمشاغِل، ويكُونُ هُناكَ العديدُ من الأشخاصِ المُتَألِّمين، كيفَ تتَّخِذُ القرارات التي قد تُصنَّفُ بِحَسَبِ أولويَّاتِ النَّاس؟

في هذه المُناسَبة، عرفَ يسُوعُ أولويَّاتِه. فلقد خدمَ أوَّلاً هذه المرأة، ثُمَّ توجَّهَ ليخدُمَ والِدَ الفتاة. لو تواجَهنا نحنُ معَ هذين الشخصَين، لكانَ الكثيرونَ منَّا وضعُوا والِدَ الفتاة التي كانت تحتَضِرُ أوَّلاً، ومن ثمَّ المرأة النازِفة. فلقد كانَ الوالِدُ رئيسَ المجمَع، أمَّا المرأَةُ فلم تكُنَ ذاتَ شأنٍ أو أهمِّيَّة. بالواقِع، لقد كانت منبُوذَةً. ففي ناموسِ مُوسى، كانَ مُحظَّراً عليها أن تَلمُسَ أيَّاً كان، وكانَ مفرُوضاً عليها أن تعزُلَ نفسَها عن أيَّةِ علاقاتٍ إجتِماعِيَّةٍ معَ النَّاس (لاوِيِّين ١٥: ١٩- ٣٠). وكانَت تُصنَّفُ حرفِيَّاً تحتَ إطار "ممنُوع اللمس." وهذا يدعُونا للتَّعجُّبِ من كونِ يسُوع قد ساعدَها أوَّلاً، ثُمَّ ساعدَ الوالِد.

فلماذا ساعدها يسُوعُ أوَّلاً، وأجَّلَ مُساعدَةَ الوالِد، عالِماً أن إبنَتَهُ كانت ستمُوتُ خِلالَ مُساعدتِهِ للمرأة؟ أحد الأجوبَة هُوَ أنَّ هذا الوالِد كانَ قدِ إختَبَرَ إثنَتَي عشرَةَ سنَةً من السَّعادَة معَ إبنتِهِ الصغيرة، بينما كانت هذه المرأةُ قد عانَت لمُدَّةِ إثنَتَي عشرةَ سنةً من الكآبَةِ بسبب كونِها منبُوذَةً، مريضَةً، ومحظُوراً عليها التعاطي معَ الآخرين.

لقد كانَ لدى هذه المرأة إيماناً كبيراً. فحتَّى ولو كانَ محظُوراً عليها ذلكَ، إلا أنَّها تحلَّت بالإيمان وقالَت، "لو إستَطعتُ أن ألمُسَ هُدبَ ثَوبِهِ فقَط، فأنا أعلَمُ أنَّني سأُشفَى." لقد عبَّرَت عن إيمانٍ عَظيمٍ عندما خرجَت ولمسَت هُدبَ ثوبِ يسُوع. فطلبَ يسُوعُ منها المزيدَ من الإيمان. لقد

فضَحها وألزَمَها بأن تعتَرِفَ علانِيَةً بما حدَثَ، من خِلالِ سُؤالِهِ، "من الذي لَمَسَني؟" ولقد قصدَ بذلكَ أنَّ شخصاً ما لمَسَهُ بطريقَةٍ رُوحيَّة. يُخبِرُنا الكتابُ المقدَّسُ، بطريقَةٍ أو بِأُخرى، أنَّهُ لا يُمكِنُ للمُؤمن أن يكُونَ مُؤمِناً سِرِّيّاً.

التلخيصُ والتطبيقُ

إنَّ التطبيقَ الشَّخصِيَّ الجَميل لهذه القِيمَة المُعلَنَة هو أنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقامَ يُوليكَ قيمَةً اليوم، إن كانَ لديكَ الإيمان بأن تمُدَّ يدَكَ وتَلمُسَهُ. فإن كُنتَ مُتألِّماً، وحتَّى إن كُنتَ منبُوذاً من المُجتَمَع، فهُوَ يُوليكَ قيمةً أكثَر ممَّا يُولي قيمَةً لكُلِّ الناس المُتَديِّنينَ والمُثَقَّفِينَ في المُجتَمَع. قد تكُونُ في السِّجن، أو قد تكُونُ تحتَضِرُ من مرَضِ الأيدز أو فقدان المَناعَة. ولكنَّ هذه القصَّة الجميلة تُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ يُوليكَ قيمةً كُبرى. فلقد جاءَ من أجلِ الأشخاصِ الذين يتألَّمُونَ، ويُؤمِنُونَ أنَّهُ قادِرٌ أن يشفِيَهُم. هل لديكَ الإيمانُ لتَعتَرِفَ بهذه القِيمة؟ وهل لَديكَ الإيمان لتَمُدَّ يدَكَ وتَلمُسَهُ وتطلُبَ منهُ بالإيمان أن يشفِيَ ألمَكَ، مهما كانَ نوعُهُ؟ إعتَرِفْ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لهذه المرأة، ولأمثالِها، بأن تلمُسَهُ اليوم.

أيُّها المُؤمِن، هل تعتَرِفُ بالقيمةِ المُعلَنَة من يسوع عن الأشخاصِ المُتألِّمينَ والمنبُوذين؟ فإن جعَلَ منكَ شخصاً صحيحاً، هل ستدَعهُ يخدمُ المُتَألِّمين والمنبُوذينَ في العالم، من خِلالِكَ؟ وهل ستكُونُ أداةً من خِلالِها يُعبَّرُ عن القيمةِ التي يُوليها يسُوعُ اليوم للأشخاصِ المَرضى والمنبُوذينَ اليوم؟

الفصلُ الخامِس عشر
كلماتُ الحَياة

نُتابِعُ معاً دِراسَةَ قِيَمِ يسُوع المَسيح. فبَينما نراهُ يُحدِّدُ ما هُوَ مُهِمٌّ بالنسبَةِ لهُ، نُواجِهُ تحدِّي السؤال التالي، "هَل لدَينا قِيَم المسيح في إختِبارِ حياتِنا؟" في هذه الدِّراسَة، أودُّ أن ننظُرَ إلى بعضِ الأعداد حيثُ يُقدِّمُ يسُوعُ تصريحاتٍ مُحَيِّرَة عن قِيَمِ تَعليمِه.

أوَّلاً، تأمَّلُوا بهذا التصريح العَميق ليسُوع عن تعليمِهِ: "الكلامُ الذي أُكَلِّمُكُم بهِ هُوَ رُوحٌ وحَياة. الرُّوحُ هُوَ الذي يُحيِي. أمَّا الجَسَد فلا يُفيدُ شَيئاً."

(يُوحنَّا ٦: ٦٣) تعني كلمةُ "جسد" في الأسفارِ المقدَّسة: "الطبيعة البَشَريَّة بدونِ مُساعَدَةِ الله،" أو ما نُسمِّيهِ اليوم، "طَبيعَتنا البَشَريَّة." فماذا يقصُدُ بإخبَارِنا أنَّ جسدَنا لا يُفيدُ شيئاً؟ لقد كانَ يقُولُ الشيءَ ذاتَهُ عندما قالَ، "بدُوني لا تَستَطِيعُونَ أن تعمَلُوا شيئاً." (يُوحنَّا ١٥: ٥) فبِدُونِ الرُّوح، تُصبِحُ طبيعتُنا البَشريَّة بدُونِ مُساعَدَةِ الله، وبالتالي لا تُفيدُ بِشَيء. وكلامُهُ هُوَ رُوحٌ، ويمنحُنا الحَياة التي بدُونِها، جسدُنا لا ينفَعُ.

ولقد قدَّمَ يسُوعُ عدَّةَ تصريحاتٍ أُخرى عن تعليمِهِ: "الكلامُ الذي أُكَلِّمُكُم بهِ ليس هُوَ من ذاتِي، بل الآب الحال فيَّ هُوَ يعمَلُ الأعمال [عندما أتَكَلَّمُ]." إنَّهُ يضعُ قيمَةً كُبرى على تعليمِهِ عندما يقُولُ، "الكلامُ الذي أُكَلِّمُكُم بهِ هُوَ رُوحٌ وحَياة. الآبَ الحالَّ فيَّ هُوَ يعمَلُ الأعمال [عندَما أتَكَلَّمُ]." (يُوحنَّا ١٤: ١٠)

أعتَقِدُ أنَّ يسُوع يقصُدُ القَولَ لنا، "عندما تسمَعُونَ كلامي، وتتجاوبُونَ معهُ بالطريقَةِ الصَّحِيحَة، سيحدُثُ شيءٌ لكُم – شيءٌ رُوحِيّ. وهذا الحَدَثُ الرُّوحِيُّ يُنتِجُ حياةً رُوحيَّةً تنمُو فيكُم." قد يكُونُ هذا ما كانَ بُولُس الرَّسُول يقُولُهُ لنا، عندما علَّمَ أنَّ الإيمان يأتي بالخَبَر، وبالتجاوُب بطريقَةٍ صَحيحَةٍ معَ كلمةِ الله (رُومية ١٠: ١٧). هذا التصريح يضَعُ قيمَةً كُبرى على تعليمِ يسُوع.

تأمَّلُوا أيضاً بتصريحٍ آخر وضعَ فيهِ يسُوعُ قيمَةً كُبرى على تعليمِهِ: "إن ثَبَتُّم فِيَّ وثبتَ كَلامي فيكُم تطلُبُونَ ما تُريدُون فيَكُونُ لكُم." (يُوحنَّا ١٥: ٧، و١٠) رُغمَ أنَّ هذا يبدُو وكأنَّهُ بابٌ مفتُوحٌ لكُلِّ من يشاء، ولكنَّنا إذا تفحَّصنا هذا الوَعد عن كَثَب، سنفهَمُ تصريحَ يسُوع هذا، الذي يضَعُ قيمَةً كُبرى على تعليمِه. إنَّهُ يقُولُ بِصراحَةٍ أنَّ تعليمَهُ سوفَ يُؤسِّسُ إنسجاماً بينَ إرادَتِكُم وأفكاركُم، وبينَ إرادَةِ وأفكارِ الله. عندما يحدُثُ هذا، ستحدُثُ مُعجِزاتٌ عَظيمَة في حياتِكُم.

يُشارِكُنا النبيُّ إشعياء بفلسَفَةِ كِرازَتِهِ. يقُولُ إشعياءُ ما معناهُ، "أنا أكرِزُ بكلمةِ اللهِ لأنَّ أفكارَ اللهِ وطُرُقَهُ ليسَت كأفكارِ الإنسان وطُرُقِهِ. هُناكَ الكَثيرُ من الفرق بينَ طريقَة تفكير الله وعملِهِ وبينَ طريقَةِ تفكير الإنسان وعملِهِ، مثل الفرق بينَ السماءِ والأرض. لِهذا، أنا أكرِزُ بكلمةِ اللهِ، وسوفَ تُحدِثُ كَلِمَةُ اللهِ إنسجاماً بينَ أفكارِ وأعمالِ الإنسان، وبينَ أفكارِ

وأعمالِ الإنسان. وعندما تنسجِمُ أفكارُ الإنسان وإرادَتُهُ وطُرُقُهُ معَ أفكارِ وإرادَةِ وطُرُقِ الله، عندما ستحدُثُ أُمُورٌ عجيبَةٌ رائِعة. لهذا أنا أكرزُ لكُم بكلمةِ الله. هذه هي فلسفتي في الكرازة." (إشعياء ٥٥: ٨- ١١)

بالواقِع، لقد علَّمَ يسُوعُ هذه الحقيقة بعَينِها. لقد علَّمَ بما معناهُ: "إن كانَت كلماتي على قُلُوبِكُم، عندها سيكُونُ هُناكَ إنسجامٌ بينَ إرادَةِ اللهِ وبينَ إرادَتِكُم. وستُصبِحُ أفكارُ اللهِ أفكارَكُم، وطُرُقُ اللهِ طُرُقَكُم. وعندها، عندما تُصَلُّون، سيكُونُ بإمكانِكُم أن تطلُبُوا ما تشاؤُون، وسيكُونُ لكُم، لأنَّكُم ستطلُبُونَ بحَسَبِ مشيئَةِ الله.

فهل ستعتَرِفُونَ بالقيمةِ التي وضعها يسُوعُ على تعليمِه، بالإقتِراب من كلمتِهِ، جاعِلينَ إيَّاها تحيا فيكُم بالفعل، لكي تُصبِحَ أفكارُكُم أفكارَ الله وإرادَتَكُم مُنسَجِمَةً معَ إرادَةِ الله؟ إذا إعتَرَفتُم بهذه القِيمة لِيَسُوع، ستكتَشِفُونَ الحقيقة أنَّ كلامَهُ هُوَ رُوحٌ وحياة.

الفَصلُ السادِس عشَر

الفَقير

نُتابِعُ دراستَنا لقِيَمِ المسيح. في هذه الدِّراسة، أودُّ أن نتأمَّلَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ المسيح للمَساكِين – أي لأشخاصٍ نظيرِكَ ونظيري: "رُوحُ الرَّبِّ عليَّ لأنَّهُ مسَحَني لأُبشِّرَ المساكين أرسَلَني لأشفِيَ المُنكَسِري القُلُوب لأُنادِيَ للمأسُورِينَ بالإطلاق وللعُمي بالبَصَر وأُرسِلَ المُنسَحِقِينَ بالحُرِّيَّة وأكرِزَ بسَنَةِ الرَّبِّ المقبُولَة." (لُوقا ٤: ١٨- ١٩)

هذا المقطَعُ الكِتابِيُّ هو بالواقِعِ إقتِباسٌ من إشعياء، قرأَهُ يسُوعُ في مجمَعٍ في الناصِرة، كبَيانٍ لخدمتِه. ذهبَ إلى مجمَعِ قريَتِهِ، وطلبَ درجَ سفرِ إشعياء. وفتحَ الدرجَ إلى نِهايتِهِ، وبالتحديد على الإصحاح الحادِي والستِّين، وقرَأَ الأعداد الأُولى من إشعياء ٦١. ثُمَّ قالَ ما معناهُ، "هذا هُوَ بَياني. وهذا من أنا، وهذا ما أنا، وهذا ما أُرسِلتُ لِلعالَم من أجلِه."

لم يُشدِّدْ يسُوعُ على نفسِهِ، بِقَدرِ ما شدَّدَ على القيمة التي وضَعها على الناس الذين جاءَ من أجلِهم إلى هذا العالم – أُناسٌ نظيرِكَ ونظيري. ودعاهُم "المساكين"، وكان بيانُهُ أنَّهُ أُرسِلَ إلى العالم ليكرِزَ بالإنجيل لهؤلاء المساكِين. فمن كانَ هؤُلاء المساكين؟

الأعمَى، المأسُور، والمَكسُور

إذا درستَ هذا المقطَع في لُوقا أو إشعياء، تجدُ أنَّهُ يقُولُ صراحَةً من يقصُدُ بالمَساكِين. يقصُدُ الأشخاصَ العُميان، كَخِرافٍ لا رَاعي لها. فهل تشعُرُ بالتشويش والضَّياع؟ وهل تشعُرُ وكأنَّكَ لا تعرِفُ يمينَكَ من شِمالِكَ – أي أنَّكَ لا تعلَمُ ماذا تفعَل لأنَّكَ لستَ مُتَيقِّناً بماذا تُؤمِن؟ إن كانت هذه حالُكَ، فعلَيكَ أن تجدَ تعزِيَةً كبيرَةً في هذا الكلام. لقد وضعَ يسُوعُ قيمَةً كُبرى على أشخاصٍ نظيرك. فهُوَ يقُولُ أنَّهُ جاءَ إلى العالم من أجلِ أشخاصٍ نظيرك. ففي كُلِّ مرَّةٍ تقرأُ فيها أنَّ يسُوعَ فتحَ فاهُ وعلَّمَهُم، كانَ يمنَحُ بصَراً للعُميان.

قالَ يسُوعُ أنَّهُ جاءَ ليكرِزَ بالأخبارِ السارَّة للمساكين والمكسُورينَ والمَجرُوحِين. فالحياةُ صعبَةٌ وقاسِية. ولقد كانَ يسُوعُ واقِعيَّاً حِيالَ ذلك. وتحتَ ضغطِ الحياة، يتعثَّرُ بعضُ الناسِ ويترنَّحُون، وبعضُهُم الآخر يسقُطُون. لقد وضعَ يسُوعُ قيمَةً كُبرى على الأشخاصِ الذين دعاهُم بالمَجرُوحِينَ والمُنكَسِري القُلُوب. لقد جاءَ لِيمنَحَ البَصَرَ للعُميان، وجاءَ ليمنحَ الشفاءَ للمُنكَسري القُلوب وللمجرُوحِين.

هَل أنتَ حُرٌّ؟ وهل أنتَ تفعلُ ما تُريدُ أن تفعَل أم ما تحتاجُ أن تفعلَ؟ هل أنتَ مُسيَّرٌ من نزواتِكَ وأهوائكَ؟ هل أنتَ مُستَعبَدٌ؟ إن كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنَّ هذا التعليم العظيم الذي علَّمَه يسُوعُ يضعُ قيمَةً كُبرى عليك. فأنتَ ذلكَ النوع من الناس الذين من أجلِهم جاءَ يسُوعُ إلى هذا العالم. وهوَ يُسمِّيكَ مِسكِيناً بالرُّوح. ولكنَّهُ جاءَ لِيَكرِزَ بالأخبارِ السارَّة للمساكِينِ أمثالِك وأمثالي، الذين لا يعرِفُونَ طعمَ الحُرِّيَّة.

هل أنتَ أعمَى رُوحيَّاً؟ وهل أنتَ مُقَيَّدٌ رُوحيَّاً؟ وهل أنتَ مكسُورٌ ومجرُوحٌ من نوائِبِ الحياة؟ إن كُنتَ كذلكَ فإنَّ يسُوعَ يَضَعُ عليكَ قيمةً كُبرَى. وهُوَ يقُولُ أنَّكَ أنتَ السبب الذي جاءَ من أجلِه. يقُولُ هُنا، أنَّكَ أنتَ السبب الذي من أجلِهِ هُوَ حاضِرٌ في العالمِ اليوم. فهل ترغَبُ بأن تعتَرِفَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ إلى أمثالِكَ، بمجيئكَ إليهِ لكي يمنَحَكَ البَصرَ بدلَ العَمَى، والحُرِّيَّةَ بدلَ العُبُوديَّة، والشفاءَ بدلَ الكَسر.

الفَصلُ السابِع عشَر
قريبُكَ

نُتابِعُ فصلاً آخر من دراسَةِ قيمِ المسيح. في هذه الدراسة، سوفَ نتأمَّلُ بالقيمَةِ التي وضعها يسُوعُ على قريبِنا. تبدَأُ دِراسَتَنا بجوابِ يسُوع على سُؤالِ مُعلِّمِ نامُوس:

"وإذا نامُوسيٌّ قامَ لِيُجَرِّبَهُ قائِلاً يا مُعلِّم ماذا أعمَل لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة. فقالَ لهُ ما هُوَ مكتُوبٌ في النامُوس. كَيفَ تقرَأُ. فأجابَ وقالَ تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ من كُلِّ قَلبِكَ ومن كُلِّ نفسكَ ومن كُلِّ قُدرَتِكَ ومن كُلِّ فِكرِكَ وقَريبَكَ مثلَ نفسِكَ. فقالَ لهُ بالصَّوابِ أجبتَ. إفعلْ هذا فتَحيا. وأمَّا هُوَ فإذ أرادَ أن يُبَرِّرَ نفسَهُ قالَ لِيَسوع ومن هُوَ قَريبي؟

فأجابَ يسُوعُ وقال: إنسانٌ كانَ نازِلاً من أُورشَليم إلى أريحا فوَقَعَ بينَ لُصُوصٍ فَعَرَّوهُ وجَرَّحُوهُ ومَضَوا وتَرَكُوهُ بينَ حَيٍّ ومَيت. فعرَضَ أنَّ كاهِناً نزلَ في تِلكَ الطريق فرآهُ وجازَ مُقابِلَهُ. وكذلكَ لاوِيٌّ أيضاً إذ صارَ عندَ المكان جاءَ ونظَرَ وجازَ مُقابِلَهُ. ولكنَّ سامِرِيَّاً مُسافِراً جاءَ إليهِ ولَمَّا رآهُ تحنَّنَ. فتقدَّمَ وضمَّدَ جراحاتِهِ وصَبَّ عليها زَيتاً وخَمراً وأركَبَهُ على دابَّتِهِ وأتَى بهِ إلى فُندُقٍ واعتَنَى بهِ. وفي الغَد لمَّا مضَى أخرَجَ دينارَين وأعطاهُما لِصاحِبِ الفُندُق وقالَ لهُ إعتَنِ بهِ ومهما أنفقتَ أكثَر فعِندَ رُجُوعِي أُوفيكَ. فأيُّ هؤُلاء الثلاثَة ترى صارَ قَريباً لِلَّذِي وقعَ بينَ اللُّصُوص. فقالَ الذي صنعَ معَهُ الرَّحمَة. فقالَ لهُ يسُوع إذهَبْ أنتَ أيضاً واصنَعْ هكذا." (لُوقا ١٠: ٢٥- ٣٧)

هُناكَ ثلاثُ فلسفاتٍ أو مفاهِيم للحياة، أو ثلاثَةُ مفاهِيم للقَريب في هذه القصَّة. الفلسَفة الأُولى نجِدُها في اللُّصُوص، الذينَ كانت فلسَفَتُهُم تقُول، "الذي لي هُوَ لي، والذي لكَ سيكُونُ لي، سُرعانَ ما أتَمكَّنُ من إنتِزاعِهِ منكَ." كثيرونَ لديهم هذه الفلسفة اليوم.

الفَلسفَةُ الثانِيَة في الحياة نجِدُها في الكاهِنِ واللاوي، أي رَجُلَي الدِّين، اللذَينِ إجتازاَ بدُونِ تقديمِ أيَّةِ مُساعَدة. كانت فلسفَةُ حياتِهما تقُولُ، "الذي لي هُوَ لي، والذي لكَ هُوَ لكَ. لدَيَّ مشاكِلي، ولديكَ مشاكِلَكَ. وأنتَ لديكَ مُشكِلَة مُعيّنَة، إذ أنَّكَ تنزِفُ حتَّى الموت في تلكَ الحُفرة، ولكنِّي تأخَّرتُ على موعِدِ الكنسية ولا أُريدُ التورُّطَ معكَ."

الفَلسفَة الثالِثة في الحياة والقَريب هي تِلكَ التي يُعلِّمُها يسُوع. هذه الفلسفة نجِدُها مُوضَّحَةً في شخصِ السامِريّ. ففَلسفتُهُ في الحياةِ والقَريب كانت، "الذي لكَ هُوَ لكَ، والذي لي هُوَ لكَ في أيَّ وقتٍ إحتجتَ إليهِ."

هذه القيمة التي علَّمها يسُوع لن تجعَلَ منكَ غَنِيَّاً. فعلى الأرجح لن تستطيعَ أن تُروِّجَ لهذه الفَلسفَة حيثُ تعمل. وقد لا تكُونُ في أعلى السُّلَم بمعنى النجاح في عَمَلِكَ بالإعتِماد على هذه الفلسفَة في الحياة. ولكن هذه هي فلسَفَةُ الحياة التي علَّمها يسُوع. فيسُوعُ يُريدُ تلاميذَ يعتَرِفُونَ بالقِيمَةِ التي وضعها على الأشخاصِ المُتألِّمين، مثل الرجُل المجرُوح في هذه القصَّة، ويُريدُ يسُوع أن يكُونَ هؤلاء التلاميذ جزءاً من جوابِهِ للمُتألِّمين.

في هذه القصَّة، أرادَ النامُوسيُّ أن يُبرِّرَ نفسَهُ، فسألَ يسُوعَ سُؤالاً مُؤثِّراً، "من هُوَ قَريبي؟" فكما ترون، بالنسبَةِ لليَهُوديّ، كانَ اليهُوديُّ الآخر فقط قَريبَهُ. وكُلُّ ما عدا ذلكَ فهُوَ عَدُوّ. وكانَ المبدَأُ الأساسيُّ عندَهم هُو: تُحِبُّ قَريبَكَ وتُبغِضُ عَدُوَّكَ. وهُم لم يأخُذُوا هذا المبدَأ من مُوسَى. بل كانَ هذا واحِداً من مئاتِ النَّواميس التي أضافُوها على نامُوسِ مُوسى. هذه القصَّة التي حكاها يسُوع تحدَّت مُعتَقَدَهُم، وأعلنَت أنَّ قريبَكَ هُوَ أيُّ شخصٍ مُتألِّمٍ تلتقيهِ في حياتِكَ. بهذه الطريقة أجابَ يسُوعُ على السؤال، "من هُوَ قَريبي؟" وهذه هي القيمة التي وضعها يسُوعُ على القَريب.

وبالطبع، الذي كانَ يفعلُهُ في هذا المَثَل العظيم كانَ ببساطَةٍ التعليم أنَّهُ علينا أن نعتَرِفَ بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ للمُتألِّمين. إذ نقتَفي خطواتِهِ عبرَ الأناجيل، نجدُ أنَّهُ لم يستَطِع أن يتجاهَلَ أيَّ شَخصٍ مُتألِّمٍ. فعندما رأى المُتألِّمين، أشفَقَ عليهِم وساعدَهُم.

هُنا، في هذا التعليم العظيم الذي ندعُوهُ، "مثل السامِريّ الصالِح،" يتحدَّانا يسُوعُ بأن نعتَرِفَ بالقِيمةِ التي وضعها على الأشخاصِ المُتألِّمين، وبأن نُعامِلَهُم جميعاً كَقَريبٍ لنا.

الفَصلُ الثامِن عشَر
محبَّةُ بعضنا البَعض

في هذه الدِّراسات، رأَينا القيمةَ الكُبرى التي وضعها يسُوعُ على المحبَّة في علاقاتِهِ معَ الناس. لقد حَضَّ تلاميذَهُ، خاصَّةً رُسُلَهُ لِيَعتَرِفُوا

بالقيمةِ التي وضعها على المحبَّة. مُباشَرَةً قبلَ أن يمُوتَ على الصَّلِيب، قضى يسُوعُ ساعاتِهِ الأخيرة معَ الرُّسُل. وفي لِقائِهِ معَهُم في العُلِّيَّة، أعطاهُم وصيَّتَهُ الجَديدة. ولقد أوجدت هذه الوصيَّةُ الجديدة جماعةً جَديدةً. وأصبَحَت هذه الجَماعَةُ الجديدةُ الكَنيسةَ. وهكذاَ فكُلُّ كَنيسةٍ ينبَغي أن تكُونَ جماعَةَ محبَّة.

كُلُّ واحِدٍ من الرُّسُل كانَ معَ يسُوعُ في تِلكَ العُلِّيَّة، كانَ هُناكَ لأنَّهُ عرفَ أنَّ يسُوعَ أحبَّهُم وكانُوا يتجاوَبُونَ معَ محبَّتِهِ. تقولُ الأعدادُ الإفتِتاحِيَّة من الإصحاحِ الذي يَصِفُ هذه الساعات الأخيرة التي قضاها يسُوعُ معَ رُسُلِهِ، "وإذ كانَ قد أَحَبَّ خاصَّتَهُ الذين في العالَم، أحبَّهُم إلى المُنتَهى." (يُوحنَّا ١٣: ١)

أعتَقِدُ أنَّ يسُوعَ تحدَّاهُم بطريقَةٍ ثَوريَّة عندما طلبَ من كُلِّ واحِدٍ منهُم أن ينظُرَ عبرَ المائدة إلى التلميذِ الآخر ويُطبِّقَ هذه الوصيَّة الجديدة: "وصيَّةً جديدَةً أُعطيكُم. أن تُحِبُّوا بعضُكُم بعضاً. كما أنا أحبَبتُكُم، هكذا تُحِبُّونَ بعضُكُم بعضاً. بِهذا يعرِفُ الناسُ أنَّكُم تلاميذِي إن كانَ لكُم حُبٌّ بعضُكُم لِبَعض." (يُوحنَّا ١٣: ٣٤، ٣٥) في هذه الدِّراسة، سوفَ نتأمَّلُ بالقِيمَةِ التي وضعها يسُوعُ على محبَّتِنا لبِعضِنا البَعض.

"أيُّهاالأولاد، أحِبُّوا بعضُكُم بعضاً"

"أيُّها الأحِبَّاء، لِنُحِبَّ بعضُنا بعضاً لأنَّ المحبَّةَ هي من الله وكُلُّ من يُحِبُّ فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله. ومن لا يُحِبُّ لم يعرفِ الله لأنَّ اللهَ محبَّة." (١يُوحنَّا ٤: ٧، ٨) هذه الأعداد كتبَها أحدُ الرُّسُل الذين سمِعُوا يسُوعَ يُعطي هذه الوصيَّة الجديدة. فالرسُولُ يُوحنَّا إعتَرَفَ فِعلاً بالقيمَةِ التي أولاها يسُوعُ للمحبَّة. لقد عُرِفَ بِرَسُولِ المحبَّةِ، لأنَّهُ في كتاباتِهِ، إستخدمَ كلمة "محبَّة" أكثر باقِي الرُّسُل مُجتَمِعين. ويبدُو أنَّهُ إستُؤسِرَ بحقيقَةِ محبَّةِ يسُوع لهُ، عندما وصَفَ نفسَهُ في إنجيلِ يُوحنَّا بكامِلِهِ، كالتِّلميذِ الذي أحبَّهُ يسُوع. وعندما كانَ يُوحنَّا يُقدِّمُ سفرَ الرُّؤيا ليسُوع، سمَّى يسُوعَ في الأعدادِ الإفتِتاحِيَّة "الذي أحبَّنا."

عشرةُ أسبابٍ من أجلِها ينبَغي أن نُحِبَّ بعضُنا بعضاً

يَظُنُّ الكَثيرُونَ أنَّ بُولُس الرسُول هُوَ رَسُول المحبَّة، لأنَّهُ هُوَ الذي كتبَ ما يُسمَّى إصحاح المحبَّة في الكتابِ المقدَّس، الإصحاح الثالِث عشر

من كُورنثُوس الأُولى. بينما المَوضُوع الأساسيّ في هذا الإصحاح هُوَ بالحقيقَةِ المواهِب الرُّوحيَّة. إصحاحُ المحبَّةِ الحقيقي في الكتابِ المقدَّس هُوَ الإصحاحُ الرابِع من رسالة يُوحنَّا الأُولى (١يُوحنَّا ٤: ٧- ٢١). في إصحاح المحبَّةِ هذا، يُعطي يُوحنَّا على الأقل عشرةَ أسبابٍ من أجلِها علينا أن نُحِبَّ بعضُنا بَعضاً. دَعُونا ننظُرُ إلى البَعضِ منها.

في العدد السابِع يُخبِرُنا يُوحنَّا، "لِنُحِبَّ بعضُنا بعضاً لأنَّ اللهَ محبَّة." وهُوَ يقصُدُ بهذا أنَّهُ علينا أن نُحِبَّ بعضُنا بعضاً لأن وحدَهُم أُولئكَ الذين لهُم علاقة معَ الله يستطيعُونَ أن يُحِبُّوا بهذه المحبَّة. في العددِ الثامِن، يُعطي يُوحنَّا سبباً آخَر، الذي هُوَ أنَّ المحبَّة هي بُرهان مِصداقِيَّة تِلميذ يسُوع المسيح.

في العَدَدَين التاسِع والعاشِر، يُعطي يُوحنَّا بعضَ الأسبابِ الإضافِيَّة لماذا علينا أن نعتَرِفَ بالقيمةِ التي وضعها يسُوعُ على محبَّتِنا لبَعضِنا البَعض: "بِهذا أُظهِرَت محبَّةُ اللهِ فينا أنَّ اللهَ قد أَرسَلَ إبنَهُ الوَحيد إلى العالَم لِكَي نحيا بهِ. في هذا هي المحبَّة ليسَ أنَّنا نحنُ أحبَبنا الله بل أنَّهُ هُوَ أحبَّنا وأرسَلَ إبنَهُ كفَّارَةً لِخطايانا." ثُمَّ يُضيفُ على هذا المُلاحظَةَ التالِيَة، "أيُّها الأحِبَّاء، إن كانَ اللهُ قد أحَبَّنا هكذا ينبَغي لَنا أيضاً أن نُحِبَّ بعضُنا بَعضاً." فهُوَ يقُولُ بأنَّهُ علينا أن نعتَرِفَ بالقيمةِ التي أعطاها يسُوعُ للمحبَّة، بسبب المِثال العظيم الذي قدَّمَهُ لنا يسوعُ عندما ماتَ على الصليب من أجلِ خطايانا.

إذا تابَعتَ دِراسَة هذه الأعداد في الإصحاحِ الرابِع من رسالة يُوحنَّا الأُولى، ستكتَشِفُ أسباباً إضافِيَّةً لضَرورَةِ محبَّتِنا لبَعضِنا البعض. مثلاً، يُتابِعُ يُوحنَّا القَول في العدد ١٦: "اللهُ محبَّة ومن يثبُتْ في المحبَّة يثبُتْ في اللهِ واللهُ فيهِ." يقُولُ يُوحنَّا هُنا أنَّنا إذا إعتَرَفنا بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ للمحبَّة، نَصِلُ إلى جوهَرِ طبيعَةِ الله. وعندما نُصبِحُ قنواتِ محبَّةِ الله، نثبُتُ في محبَّتِهِ وتثبُتُ محبَّتُهُ فينا. وعندَما نثبُتُ في محبَّةِ الله، نثبُتُ في اللهِ نفسِه. بُرهانُ كونِنا نتمتَّعُ بهذه العلاقة معَ الله هُوَ أنَّ محبَّتَهُ قد تكمَّلَت فينا. بإمكانِ النَّاس عندَها أن ينظُروا إلينا ويرَوا محبَّةَ الله.

أختُمُ دراسَتَنا للقِيمَةِ التي وضعها يسُوعُ على محبَّتِنا لبَعضِنا البعض، بأن أطلُبَ منكَ أن تقرَأَ برويَّةٍ وبِرُوحِ الصلاة مقطَعاً من إصحاحِ المحبَّةِ

هذا، الذي كتبَهُ يُوحنَّا الرسُول. وبينما تتأمَّلُ بهذا التحريض من قِبَلِ الرسُول يُوحَنَّا، بأن تعتَرِفَ بالقِيمَةِ التي أولاها يسُوعُ لضرورَةِ محبَّتِنا لبَعضِنا البَعض، حاوِل أن تُحدِّدَ الأسبابَ العَشرة التي من أجلِها علينا أن نُحِبَّ بعضُنا بعضاً. دوِّن لائِحَةً بهذه الأسباب. ضَعْ هذه اللائحة في مكانٍ تراهُ كُلَّ يوم. ثُمَّ، إعتَرِفْ يوميَّاً بالقيمةِ التي أولاها يسُوعُ لِمَحَبَّةِ بعضِنا بعضاً.

مقطَعٌ من إصحاحِ المحبَّة من رِسالَةِ يُوحنَّا الأُولى

أيُّها الأحِبَّاء لِنُحِبَّ بعضُنا بعضاً لأنَّ المحبَّة هِيَ من الله وكُلُّ من يُحِبُّ فقد وُلِدَ من الله ويَعرِف الله. ومن لا يُحِبُّ لم يعرِف الله لأنَّ اللهَ محبَّة. بِهذا أُظهِرَت محبَّةُ اللهِ فينا أنَّ اللهَ قد أرسَلَ إبنَهُ الوحيد إلى العالم لِكَي نحيا بهِ. في هذا هي المحبَّة ليسَ أنَّنا نحنُ أحبَبنا اللهَ بَلْ أنَّهُ هُوَ أحبَّنا وأرسَلَ إبنَهُ كفَّارَةً لِخَطايانا. أيُّها الأحِبَّاء إن كانَ اللهُ قد أحَبَّنا هكذا فيَنبَغي أن يُحِبَّ بَعضُنا بعضاً.

"اللهُ لم ينظُرْهُ أحدٌ قَطّ. إنْ أحَبَّ بَعضُنا بعضاً فاللهُ يَثبُتُ فينا ومحَبَّتُهُ قد تكمَّلَت فينا. بِهذا نعرِفُ أنَّنا نثبُتُ فيهِ وهُوَ فينا أنَّهُ قد أعطانا من رُوحِهِ. ونحنُ قد نظَرنا ونَشهَدُ أنَّ الآبَ قد أرسلَ الإبنَ مُخَلِّصاً لِلعالَم. من إعتَرَفَ أنَّ يسُوعَ هُوَ إبنُ الله فاللهُ يَثبُتُ فيهِ وهُوَ في الله. ونحنُ قد عرَفنا وَصَدَّقنا المحبَّةَ التي للهِ فينا. اللهُ محبَّةٌ ومن يثبُتْ في المحبَّة يثبُتْ في اللهِ واللهُ فيه... ولنا هذه الوَصيَّة منهُ أنَّ من يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أخاهُ أيضاً. (١يُوحنَّا ٤: ٧-١٦، ٢١)

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل